دقائق البيان لبعض ألفاظ القرآن

في ضوء تفسير (التحرير والتنوير) للطاهر ابن عاشور

الدكتور

طالب محمد إسماعيل

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2010/2/625)

225.11

إسماعيل، طالب محمد

دقائق البيان لبعض ألفاظ القرآن / طالب محمد إسماعيل._ عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2010

( ) ص.

ر.أ: (2010/2/625)

الواصفات: / ألفاظ القرآن// التفاسير/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 105 - 1

حقوق النشر محفوظة

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة لدار كنوز المعرفة - عمان الأردن، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنفيذ الكتاب كاملا أو مجزءا أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على كمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيا

دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري
تلفون: 4655877 6 962+ - فاكس: 4655875 6 962+
موبايل: 5525494 79 962+ - ص. ب 712577 عمان
الموقع الإلكتروني: www.darkonoz.com
إيميل: dar_konoz@yahoo.com - info@darkonoz.com

التدقيق اللغوي: الأستاذ أحمد خضر

تنسيق وإخراج: صفاء نور البصار
00962 79 6507997
safa_nimer@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

دقائق البيان لبعض ألفاظ القرآن

في ضوء تفسير (التحرير والتنوير) للطاهر ابن عاشور

الإهداء

أمّاه.. أتذكرين حيث تمتدُّ أنامل الحنين
طيفاً يختزل السنين
في أسفار ليلك الحزين
وترسمين على الجبين
حباً لا يعرف الغياب
فتنحني لصوتك الهموم
وتشرق النجوم
ويضيء الندى نوراً
من وجهك القدسي
حين ترتلين: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾

فيا... يا ولدي: هوّن عليك، ولا تحزن
فإنك ستعود غداً، لا تملك إلا سطراً
في صحف الأمس، فتفر ظنونك كالآرام من كناسها
لو طاردتها قسورة، فتبحث عن ظلك يحميها
ولكن إياك والقنوط فإن رحمة ربك وسعت كل شيء

وأعلم.. أن طيفك قد لمّ كل السطور
وأخفى عن العيون كل العصور
وأن اسم (محمد) سيبقى لك رسولاً هادياً
ثم اسم (ابن) واسم (أب)

الفهرس

المقدمة ٩

١- إذْ ١٢
٢- إذاْ ١٥
٣- إذاْ الفجائية ١٩
٤- إذن - إذاً ٢٤
٥- ألاْ ٢٩
٦- إمَّاْ ٣١
٧- أمَّاْ ٣٦
٨- أنْ - المؤكدة - الزائدة - ٤١
٩- إنْ المكسورة الهمزة المخففة النون [الشَّرطية] ٤٥
١٠- إنْ النافية ٤٩
١١- إنَّ ٥٤
١٢- إنّما وأنّماْ ٥٩
١٣- أنّى ٦٤
١٤- أوْ ٦٦
١٥- أيّانْ ٧١
١٦- أينْ ٧٣
١٧- أيّ ٧٦

١٨- "بلى" ٨١
١٩- "تاء" القسم ٨٤
٢٠- "ثمّ" ٨٦
٢١- "حتّى" ٩٣
٢٢- "ذو - ذات" ٩٦
٢٣- "السين" و"سوف" ١٠٣
٢٤- "قد" ١٠٩
٢٥- "كلا" ١١٥
٢٦- "كاد" ١٢٥
٢٧- "كلما" ١٣٥
٢٨- "كم" ١٤٠
٢٩- "كافة" ١٤٥
٣٠- "ويكأن" ١٤٨
٣١- "كأين - كأي" ١٥٠
٣٢- "كيف" ١٥٤
٣٣- "اللام" ١٥٨
٣٤- "لا" ١٦٤
٣٥- "لعل" ١٦٩
٣٦- "لما" ١٧٥
٣٧- "لن" ١٨١
٣٨- "لو" ١٨٣
٣٩- "لولا" ١٩٤
٤٠- "ماذا" ١٩٩
٤١- "هل" ٢٠٣
المصادر والمراجع ٢٠٧

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا "محمد" وعلى آله وصحبه الطاهرين الطيبين؛

أما بعد

فليس بجديد أن نقول؛ إن تراثنا العربي غني بتلك المؤلفات التي تعنى بأدوات المعاني[1] -أو حروف المعاني- مثل "الأذهبة" للهروي، و"اللامات" للزجاجي، ورصف المباني للمالقي، والجنى الداني للمرادي، وغيرها من الكتب التي تحدثت عن الوظيفة "النحوية" و"الدلالية" لكل أداة، كما عرضت بعض الشواهد القرآنية الكريمة، لتوثيق ما ذكر من آراء لغوية ومعنوية، وقد تميزت بهذه الظاهرة جهود "ابن هشام" في مؤلفاته، وبخاصة في كتابه "مغني اللبيب". وقد توجت هذه المؤلفات بذلك الجهد العظيم الذي قدمه أ.د محمد عبد الخالق عظيمة. في مؤلفه الرائع "دراسات لأسلوب القرآن الكريم" وقد حاول بعض الدارسين المعاصرين أن يدرس بعض المجموعات المشتركة في بعض الوظائف اللغوية في الكتاب العزيز. مثل "أدوات الشرط" و"أدوات العطف" و"أدوات النفي" و"أساليب التوكيد" وغيرها في السياق القرآني.

---

(١) الأزهية للهروي.

وهذه الدراسة تطمح إلى الخروج من طوق "أدوات المعاني" ورصفها بحسب ترتيبها الألف بائي، ثم عرض وظيفتها النحوية -إن وجدت-، ووضع كشف بدلالاتها الجاهزة.

هذه الدراسة تطمح إلى أن تنطلق إلى أفق يضم ألفاظاً أخرى، لا تتقيد بشرط الحرفية أو شرط الصدارة في الأسمية، تلك الألفاظ التي يكون موقعها الإعرابي قرينة دالة على تأثيرها الأسلوبي والبلاغي في نسج السياق الذي استعملت فيه.

وقد آثرنا أن تكون هذه المحاولة التحليلية في ضوء التفسير البلاغي للإعجاز المبين الذي نهجه "الطاهر ابن عاشور" في "التحرير والتنوير" إذ وجدنا هذا العالم الجليل؛ يشير إلى الآراء التي تابع فيها آراء النحاة القدامى أو المتأخرين، وفي مقدمتهم "سيبويه" و"المبرد" و"ابن هشام" و"الراضي".

وما اختاره من أفكار بلاغية، مشيراً إلى أصحابها من المفسرين واللغويين، وفي مقدمتهم الزمخشري وابن عطية.

أما ما تفرد بها من آراء؛ فقد بين أسرار تفرده، وكشف عن بعض وجوه إعجازه وبيانه متميزاً فيما تابع وما تفرد بمنهج علمي يقوم على الدقة في الاستقراء من "القلة" إلى "الكثرة" أو "الندرة" و"الغلبة" أو "الإطراد" - في رصد تلك الظاهرة.

وإن ادَّعيتُ أني قصدت بهذه المحاولة عدة فوائد؛

فإن أولها: أن يكون للشاهد القرآني الموقع الرئيسي في الدرس النحوي الذي ألجمه الشاهد الشعري المحكوم مسبقاً بالضرورة الشعرية وأثقلت خطواته تلك الشواهد المصنوعة التي تثير الدهشة حيناً والاستغراب والاستهزاء، أحياناً أخرى.

وثانيها: أن يتضح تأثير السياق في خصوصية كل أداة، بحسب القرائن المعنوية واللفظية التي تضمنتها، ولعل في ذلك تنويراً للأذهان في إدراك بعض الأسرار البيانية للإعجاز العظيم.

وثالثها: قصدت بهذه المحاولة أن يتأكد الدارس أن فروع اللغة العربية ظاهرة ثراء اللغة، فما هي إلا روافد تصب في مجرى اللغة لأن تعدد فروعها إغناء لها وليس تفريق وتجزئة لها.

١ - "إذ"

أصله ظرف مبهم للزمن الماضي تفسره الجملة التي يضاف هو إليها، أي: يأتي في الغالب مضافاً إلى الجملة بعده.

وهذا رأي جمهور النحاة، فهو واقع موقع التحقيق مثل الفعل الماضي الذي معها نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ﴾[البقرة:١٦٦]

فقد جاء الفعل بصيغة الماضي هنا بعد "إذ" مع أنه مستقبل في المعنى لأنه إنما يحصل في الآخرة تنبيهاً على تحقق وقوعه.

وقد درجت "إذ" على أن ترد ظرفاً للمستقبل وهو الأصح عند بعض النحاة ومنهم "ابن مالك" في "التسهيل"(١).

وله شواهد كثيرة في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾[آل عمران:١٥٢]

كما تخرج "إذ" عن الظرفية إلى ما يقاربها للتوسع أو ما يشابهها في التعليل(٢) كقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾، وقوله عز وجل: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ﴾[الأحقاف:٢٦]

---

(١) ابن مالك –التسهيل– ص٢٩.

(٢) الطاهر بن عاشور –التحرير والتنوير– ٢: ٩٦، ٢٥: ٢١٤.

فقد استعملت "إذ" هنا في التعليل لاستواء مؤدي الظرف ومؤدي التعليل لأنه لما جعل الشيء من الإغناء معلقاً نفيه بزمان جحودهم بآيات الله كما يستفاد من إضافة "إذ" إلى الجملة بعدها عُلم أن لذلك الزمان تأثيراً في الإغناء...[1].

ومعنى ذلك أن "إذ" أصله ظرف، وقد تأتي مجرَّدة عن معنى الظرفية لكونها غير ظرف في أصل وضعها كما في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾[البقرة:٣٠].

ولذلك صحت إضافة "بعد" إليها لأن الإضافة قرينة على تجريد "إذ" من معنى الظرفية إلى مطلق الزمان مثل قولهم (حينئذ) و(يومئذ) والتقدير: بعد زمن مجيئه.

وقد نبه الزمخشري على أن "إذ" لا تلزم الظرفية وذلك في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾[الأعراف:٦٩]

قال صاحب "الكشاف": (فإن قلت: "إذ" في قوله ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء﴾[الأعراف:٦٩]ما وجه انتصابه؟[2] قلت: هو مفعول به وليس بظرف، أي: اذكروا وقت استخلافكم).

أي: أن "إذ" اسم زمان منصوب على المفعولية وليس ظرفاً لعدم استقامة المعنى على الظرفية.

والتحقيق أن "إذ" لا تلزم الظرفية، بل هي ظرف متصرف، والمعنى: اذكروا الوقت الذي ظهرت فيه خلافاتكم عن قوم نوح في تعمير الأرض والهيمنة على الاسم، فإن عاداً كانوا ذوي قوة ونعمة عظيمة. ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[فصلت:١٥]

أما قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[الأحقاف:١١]. إذ قدم الظرف في الكلام

---

(١) المصدر السابق ٢٨: ٥١.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ح٢: ١١٣.

على عامله، وأشرب معنى الشرط، وهو إشراب وارد في الكلام وكثير في "إذ" وكذلك دخلت "الفاء" في جوابه هنا في قوله تعالى: "فسيقولون" يقول الطاهر بن عاشور: (اعلم أنه يكثر وقوع "الفاء" بعد "إذ" ومتعلقاتها ويجوز أن تأتي "إذ" للتعليل فتتعلق "إذ" بـ"يقولون" ولا يمنع "الفاء" من عمل ما بعدها فيما قبلها، وإنما انتظمت الجملة هكذا لإفادة هذه الخصوصيات البلاغية فـ"الواو" في "وإذ" للعطف والمعطوف بمعنى شرط و"الفاء" لجواب شرط، وأصل التركيب ("فسيقولون" هذا إفك قديم إذ لم يهتدوا)، ويبدو أن هذه الـ"إذ" التي قال عنها أهل النحو: إنها واجبة الإضافة يغلب أن تأتي في الاستعمال القرآني دالة على معنى التعليل إذ خرجت عن أصل وضعها إلى الدلالة المجازية، أما رائحة الشرط فتفهم من وقوع "الفاء" وسط التركيب كأن أصل الكلام: (سيقولون هذا إفك إذ لم يهتدوا به)[1].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦: ٢٢.

٢- "إذا"

اسم زمان مبهم يتعين مقداره بمضمون جملة يضاف إليها وهو يستعمل للزمن المستقبل غالباً، فيتضمن معنى الشرط لأن معاني الظروف قريبة من معاني الشرط لما فيها من التعليق نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[النصر:٣].

فقد جاء "إذا" متضمناً معنى الشرط بدلالة قرينة "الفاء" في جواب الشرط التي تثبت معنى الربط والتعليق[١].

وقد يكون الفعل الذي تضاف إليه بصيغة الماضي لإفادة التحقيق، نحو قوله عز وجل: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾[التوبة:٩٥]. فإن "إذا" هنا ظرف للزمن الماضي على خلاف استعمالها[٢]. كذلك قوله عز وجل: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ﴾[التوبة:٣٨].

وقد يكون الفعل الواقع بعد "إذا" مضارعاً نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاء قَدِيرٌ﴾[الشورى:٢٩].

---

(١) المصدر السابق ٣٠: ٥٩٠.

(٢) المصدر السابق ١٠: ١٩٦.

وتتخلى "إذا" عن معنى الشرط، فتأتي لمجرد "الإخبار" دون قصد تعليق نحو قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾[الجمعة:١١]. أما مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ...﴾ [يونس:١٢] فإن "إذا" لمجرد الظرفية "المطلقة" أي: ليست للاستقبال -كما هو غالب أحوالها- لأن المقصود هنا حكاية حال المشتركين في دعائهم الله عند الاضطرار وإعراضهم عنه إلى عبادة آلهتهم عند الرجاء[1].

ومثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾[النحل:٩١].

فإن "إذا" جاءت في السياق الكريم لمجرد الظرفية؛ لأن المخاطبين قد عاهدوا الله على الإيمان والطاعة، فالإتيان باسم الزمان لتأكيد الوفاء.

وتأمل قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ﴾[الأعراف:١٣١].

فإنما (عبَّر في جانب الحسنة (بالمجيء) لأن حصولها مرغوب، فهي بحيث تُرقب كما يُرقب الجائي وعبَّر في جانب السيئة بـ"الإصابة" لأنها تحصل فجأة من غير رغبة ولا ترقب[2]. وجيء في جانب "الحسنة" بـ"إذا الشرطية"، لأن الغالب في "إذا" الدالة على اليقين بوقوع الشرط أو ما يقرب اليقين، لذلك غلب أن يكون فعل الشرط مع "إذا" فعلاً ماضياً لكون الماضي أقرب إلى اليقين في الحصول على المستقبل -كما في الآية الكريمة- والغالب في "إنْ" أن تدل على التردد في وقوع الشرط أو على الشك.

أما قوله تعالى: ﴿فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾[المائدة:٩٣]. فقد (عبَّر بصيغة الماضي في قوله عز وجل: "طعموا" فتعين أن يكون "إذا" ظرفاً

---

(١) التحرير والتنوير ١١: ١١١.

(٢) المصدر السابق ٩: ٩٣.

للماضي، وذلك على أصح أقوال النحاة... وإذا كان المشهور أن "إذا" ظرف للمستقبل فالحق أن "إذا" تقع ظرفاً للماضي، وهو الذي اختاره "ابن مالك"[1]، ودرج عليه "ابن هشام" في "مغنى اللبيب"[2].

وشاهده قوله تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾[التوبة:٩٢].

ومثله أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾[الجمعة:١١] وآيات كثيرة.

وأعلم أن "إذا" قد تقترن بـ"ما" -كما في القولين الكريمين السابقين- فيمنح تركيب "إذا ما" السياق مساحة زمنية أوسع لمناسبة الحدث فيتحقق لمعنى الشرط الذي تضمنه التركيب فائدة "التوكيد" وتوثيق الارتباط سواءً أكانت "إذا" شرطية أم غير شرطية، كأن تكون لمجرد الظرفية نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[الشورى:٣٧].

أي: أن ورود "ما" بعد "إذا" يقوي دلالة الشرطية في "إذا".

أما "إذا" الواقعة بعد القسم بـ"الواو"، كما في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾[الشمس:٤]. وقوله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[النجم:١].

ذكر ابن هشام أن "إذا" هنا تجيء للحال، لأنها لو كانت للاستقبال لم تكن ظرفاً لفعل القسم، لأنه إنشاء لا إخبار عن قسم يأتي لأن قسم الله سبحانه قديم، ولا لكون محذوف هو حال من "والليل" و"النجم". لأن الحالة والاستقبال متنافيان، وإذا بطل هذان الوجهان تعين أنه ظرف لأحدهما على أن المراد به الحال.

---

(١) التسهيل: ٣١.

(٢) مغني اللبيب ١: ١٦٠.

والصحيح أنه لا يصح التعليق بـ"أقسم" الإنشائي، لأن القديم لا زمان له ولا حال ولا غيره، بل هو سابق على الزمان وأنه لا يمتنع التعليق بكائن مع بقاء "إذا" على الاستقبال[1].

فإن صاحب "التحرير والتنوير" سمّي "إذا" -هنا- ظرفاً مستقراً فقال إن (إذا: في محل نصب على الظرفية متعلقة بكون هو حال من "القمر" ومن "النهار" ومن "الليل"؛ فهو ظرف مستقر، أي: مقسماً بكل واحد من هذه العلاقة في الحالة الدالة على أعظم أحواله وأشدها دلالة على عظيم صنع الله تعالى)[2].

ويفهم من ذلك أن "إذا" المكررة في السياق الكريم الواقعة بعد القسم بالواو تدل على الزمن المطلق الذي يقابل معنى "كل حين".

وهذا الرأي متفق مع إشارة د. عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" إلى أن هذا (يصدق على الليل مطلق الليل، والنهار مطلق النهار)[3].

ومثله أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾[الليل:١-٢]. ﴿وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[الضحى:١-٢].

---

(١) مغني اللبيب ١: ١٦٤.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠: ٣٦٨.

(٣) د. عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" -التفسير البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق- دار المعارف ١٩٨٤ -دار المعارف- ص٢٤٤.

٣- "إذا" الفجائية

قال "ابن هشام" في "مغني اللبيب":

"إذا الفجائية تختص بالجملة الإسمية، ولا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء ولا يقع الخبر معها في التنزيل إلا مصرحاً به.

وقد شغل النحاة في تعريفها؛ فذكر الأخفش أن "إذا" الفجائية (حرف) واختار آخرون كونها ظرفاً، ثم اختلف آخرون كونها ظرفاً، ثم اختلف هؤلاء في نوعية "الظرف"؛ فنقل عن "المبرد" أن "إذا" الفجائية ظرف مكان، واختار "الزجاجي" والزمخشري وابن عصفور أنها ظرف زمان[١]. قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[الروم:٢٥].

فإن قلت: ما الفرق بين "إذا" و"إذا"؟

قلت: الأولى، للشرط، والثانية: للمفاجأة، وهي تنوب مناب "الفاء" في جواب الشرط التقدير: إذا دعاكم فأجأتم الخروج في ذلك الوقت...

وقوله "إذا دعاكم" بمنزلة قوله "يريكم" في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى[٢].

---

(١) مغني اللبيب ١: ١٥٣-١٥٤.

(٢) الكشاف ٣: ٤٦٠.

قال الطاهر بن عاشور: (إن الذي ذهب إليه صاحب "الكشاف" أنه متعلق بـ"دعاكم" لأن "دعاكم" لما اشتمل على "فاعل" و"مفعول" فالمتعلق بالفعل يجوز أن يكون من شؤون الفاعل.

ويجوز أن يكون من شؤون المفعول على حسب القرينة، كما تقول: (دعوت فلاناً من أعلى الجبل فنزل إليَّ) أي: دعوته وهو في أعلى الجبل، وهذا الاستعمال خلاف الغالب، ولكن دلّت عليه القرينة مع التقص من أن يكون المجرور متعلقاً بـ"تخرجون"؛ لأن ما بعد حرف المفاجأة لا يعمل فيما قبلها، على أن في هذا المنع نظراً، ولا يجوز تعليقه بـ"دعوة" لعدم اشتمال المصدر على فاعل ومفعول، وهو وجيه، وكفاك بذوق قائله[1].

وأقول: قريب منه قوله تعالى:﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[فصلت:٤٤]. وأجاز صاحب "التحرير والتنوير أن يكون قوله تعالى "من الأرض" متعلقاً بـ"تخرجون" قدم عليه، وهذا ذكر في "مغني اللبيب" أنه حكاه عنهم أبو حاتم في كتاب "الوقف" وهذا أحسن وأبعد من التكلف[2]، وعليه فتقديم المجرور للاهتمام تعريضاً بخطئهم إذ أحالوا أن يكون لهم خروج من الأرض عن بعد صيرورتهم فيما يتعلق في قولهم المحكي عنهم بقوله تعالى:﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[السجدة:١٠]وقولهم: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾[النمل:٦٧].

أما قضية تقديم المعمول على "إذا" الفجائية، فإذا سلم عدم جوازه فإن التوسع في المجرور والمظروف من حديث "البحر"، فمن العجب كيف سد باب التوسع فيه صاحب "مغني اللبيب" في الجهة الثانية من الباب الخامس.

وجيء بحرف المفاجأة في قوله تعالى: ﴿ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[الروم:٢٥]لإفادة سرعة خروجهم إلى الحشر كقوله عز وجل: ﴿إِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۞ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠: ٨٠.

(٢) المصدر السابق ٢٠: ٨١.

وَاحِدَةً﴾[النازعات:١٤] و"إذا" الفجائية تقتضي أن يكون ما بعدها مبتدأ "أنتم" وجيء بخبر المبتدأ جملة فعلية فعلها مضارع لاستحضار الصورة العجيبة في ذلك الخروج[١]، كقوله عز وجل:﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[يس:٥١].

لإفادة التقوي الحاصل من تحمل الفعل ضمير المبتدأ فكأنه أعيد ذكره - كما أسار صاحب "المفتاح"[٢].

وقد تضمنت "إذا" الفجائية الدلالة على سرعة خروجهم إلى الحشر، كما في قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[النازعات:١٤] ، ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[الأعراف:١٠٧].أي (فرمى عصاه من يده "فإذا هي ثعبان" أي: حية عظيمة، و"إذا" للمفاجأة؛ التي تدل على حدوث الحادث من غير ترقب..

ونتأمل قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠١].

قال الطاهر بن عاشور: ("الفاء" لتفريع الإبصار على التذكر، وأكد معنى "فاء" التعقيب بـ"إذا" الفجائية الدالة على حصول مضمون جملتها دفعة بدون تريث، أي: تذكروا تذكر ذوي عزم فلم تتريث نفوسهم إن تبين لها الحق الوازع عن العمل بالخواطر الشيطانية فابتعدت عنها وتمسكت بالحق وعملت بما تذكرت فإذا هم ثابتون على هداهم وتقواهم...)[٣].

وقد نبه صاحب "التحرير والتنوير" على هذه الدلالة لـ"إذا" في أكثر من موضع، ومنها تفسير قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[يس:٢٩].

---

(١) المصدر السابق ٢٠: ٨١.

(٢) القزويني – تلخيص المفتاح: ١٩.

(٣) التحرير والتنوير ٤: ٢٣٣.

قال الطاهر بن عاشور: (مجيء "إذا" الفجائية في الجملة المفرعة على "إن كانت إلا صيحة واحدة" لإفادة سرعة الخمود إليهم بتلك الصيحة)[1].

ولعل من المناسب أن نذكر هنا إلى صاحب "التحرير والتنوير" لم يشر إلى وظيفة "إذا" الفجائية المستعملة في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[طه:٢٠]. ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[الأنبياء:٩٧] ولعله قد وجد في قول الزمخشري ما أغنى عن ذكره، فقد ذكر صاحب "الكشاف" أن (إذا: هي "إذا" المفاجأة، وهي تقع في المجازاة سادّة مسد "الفاء" كقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[الروم:٣٦].

فإذا جاءت "الفاء" معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل: إذا هي شاخصة، أو: فهي شاخصة، كان سديداً[2].

ويبدو أن "الطاهر بن عاشور" قد تأثر بهذا المعنى فذكر رأياً قريباً منه في تفسير قوله عز وجل:﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[النازعات:١٤].قال صاحب "التحرير والتنوير": (الإيقان بـ"إذا" الفجائية للدلالة على سرعة حضورهم بهذا المكان عقب البعث وعطفها بـ"الفاء" لتحقيق ذلك المعنى الذي أفادته "إما" لأن الجمع بين المفاجأة والتفريع أشد ما يعبر به عن السرعة مع إيجاز اللفظ.

والمعنى: أن الله يأمر بأمر التكوين بخلق أجساد تحل فيها الأرواح التي كانت في الدنيا فتحضر في موقف الحشر للحساب بسرعة[3]...

وقد اكتفى صاحب "الكشاف" بالقول: (أن المعنى: أنها إذا صحت فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم...

---

(١) المصدر السابق ٢٣: ٤.

(٢) الكشاف ٣: ١٣٢.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠: ٧٣.

أي: لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل، فإنها سهلة هينة في قدرته "فإذا هم" أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتاً في جوفها[1]...

أما إذا في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾[الشمس:٤].

فقد ذكر "ابن هشام" أن "إذا" هنا تجيء للحال، لأنها لو كانت للاستقبال لم تكن ظرفاً لفعل القسم، لأنه إنشاء لا إخبار عن قسم يأتي، لأن قسم الله سبحانه قديم ولا لكون محذوف هو حال من "والليل" لأن الحال والاستقبال متنافيان.

وإذا بطل هذان الوجهان تعيَّن أنه ظرف لأحدهما على أن المراد به الحال. والصحيح أنه لا يصح التعليق بـ"أقسم" الإنشائي.

لأن القديم لا زمان له لا حال ولا غيره، بل هو سابق على الزمان وأنه لا يمتنع التعليق بكائن مع بقاء "إذا" على الاستقبال[2].

ومثله قوله تعالى:﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾[الليل:٢] ﴿وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[الضحى:٢]

فقد سماها "الطاهر بن عاشور" ظرفاً مستقراً فقال: إنه (في محل نصب على الظرفية متعلقة بكون هو حال من القمر ومن النهار ومن الليل، فهو ظرف مستقر، أي: مقسماً بكل واحد من هذه الثلاثة في الحالة الدالة على أعظم أحواله وأشدها دلالة على عظيم صنع الله تعالى.

ويفهم من كلام صاحب "التحرير والتنوير" أن "إذا" الواقعة بعد أداة القسم "الواو" والمقسم به -وقد يتكرر هذا التركيب معطوفاً- تدل على زمن مطلق، بمعنى "كل وقت وكل زمن".

---

(١) الكشاف ٤: ٦٨١.

(٢) مغني اللبيب ١: ١٦٤.

٤- "إذن - إذاً"

قال صاحب "التحرير والتنوير": "إذن" حرف[١] جواب وجزاء لكلام قبلها ملفوظاً أو مقدراً وهذا ما يفهم من قول سيبويه في "إذن": (معناها الجواب والجزاء)[٢].

أي - كما يقول الرضي: (إذن؛ ضمن الجزاء لكونه كـ"إذا ما"... وإنما قلنا يكون الغالب في "إذن" تضمن معنى الشرط ولم نقل بوجوبه كما أطلق النحاة، لأنه لا معنى للشرط في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[الشعراء:٢٠]. وتكون "نونها" حرفاً من الكلمة، ولكن كثرة كتابتها "بألف" في صورة الاسم المنون والأصل فيها أن يكون الفعل بعدها مضارعاً منصوباً بـ"أن" المضمرة[٣].

فإذا وقعت "إذن" بعد عاطف، جاز رفع المضارع بعدها ونصبه كما في قوله تعالى: ﴿لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ﴾[الإسراء:٧٦]. أي: لا يبقون بعد إخراجك[٤].

---

(١) ذهب جمهور البصريين أنها "حرف" وذهب بعض الكوفيين إلى أنها اسم، وأصلها "إذا"، أما القائلون بحرفيتها فقد اختلفوا فذهب الخليل -في أحد أقواله- أنها مركبة من "إذ" و"أن" وقيل أنها بسيطة وذهب "الخليل" فيما روي عنه أبو عبيدة إلى أنها "ناحية" بنفسها، و"أن" بعدها مقدرة وإليه ذهب الزجاجي والفارسي والصحيح ناحيته بنفسها.

(٢) سيبويه – الكتاب ٢: ٣١٢.

(٣) التحرير والتنوير ١٥: ١٧٨، ١٨: ١١٤.

(٤) الكشاف ٢: ٦٥٨.

وقال الطاهر بن عاشور جملة: ("إذن لا يلبثون خلفك" عطف على جملة "وإن كادوا" أو: هي اعتراض في آخر الكلام، فتكون "الواو" للاعتراض، و"إذاً" ظرفاً لقوله عز وجل "لا يلبثون" وهي "إذ" اللازمة الإضافة إلى الجملة.

والأكثر أن "إذن" إذا وقعت بعد "الواو" و"الفاء" العاطفتين أن لا ينصب المضارع بعدها، فورود نصبه نادراً، والغالب أن يكون الفعل المضارع بعدها مرفوعاً نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾[الأحزاب:١٦].

فإن "إذن" قد تكون جواباً لمحذوف دلَّ عليه الكلام المذكور أي: إن خيل إليكم أن الفرار نفع الذي فرَّ في وقت ما فما هو إلا نفع زهيد لأنه تأخير في أجل الحياة، وهو متاع قليل، أي: إعطاء الحياة مدة منتهية[1].

وقد اشترط بعض النحاة لمجيئه ناصباً للفعل المضارع، ثلاثة شروط:

الأول: أن يكون الفعل مستقبلاً، فإن كان حالاً رُفع، كقولك لمن يحدثك: إذاً أصفك صادقاً.

الثاني: أن تكون مصدرة، فإن تأخرت ألغيت حتماً نحو: (أكرمك إذاً) وإن توسطت وافتقر ما قبلها لما بعدها مثل أن تتوسط بين "المبتدأ" و"الخبر" وبين "الشرط وجزائه" وبين "القسم وجوابه" وجب إلغاؤها كالمتأخرة.

الثالث: ألا يفصل بينها وبين الفعل بغير القسم، فإن فُصل بينهما بغيره أُلغيت نحو: إذاً زيد يكرمك وإن فصل بالقسم لم يعتبر نحو: إذن والله أكرمك وأجاز ابن عصفور الفصل بالظرف، نحو: إذن غداً أكرمك.

وأجاز بعضهم الفصل بالنداء والدعاء نحو: إذن يا زيد أحسن إليك، وإذن يغفر الله لك يدخلك الجنة والصحيح منعه فلم يسمع شيء من ذلك[2].

---

(١) التحرير والتنوير ٢١: ٢٩١.

(٢) المرادي – الجني الداني ٣٦١-٣٦٢.

أما إذا وقع بعد "إذن" الفعل الماضي مصحوباً بـ"اللام" نحو قوله تعالى: ﴿إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ﴾[الإسراء:٧٥]. فالظاهر أن "اللام" جواب قسم مقدر قيل "إذاً".

قال القراء: "لو" مقدرة قبل "إذاً"، والتقدير: لو كنت... لأذقناك...

وقال صاحب "التحرير والتنوير": ("إذن" جزاء لـ"كدت تركن" ولكونها جزاء فصلت عن العطف إذ لا مقتضى له فركون "النبي" (صلى الله عليه وسلم) إليهم غير واقع ولا مقارب للوقوع)[1]. ونقرأ قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾[الإسراء:٧٣].

"إنْ" من قوله تعالى "إنْ كادوا" مخففة من "إنَّ" المشددة... "اللام" في "ليفتنونك" هي "لام" الفارقة بين "إنْ" المخففة الثقيلة وبين "إنْ" النافية.

و"إذاً" حرف جزاء و"النون" التي بآخرها "نون" كلمة وليست تنوين تمكين فتكون جزاء لفعل "يفتنونك" بما معه من المتعلقات مقحماً بين المتعاطفين لتصير "واو" العطف مع "إذ" مفيدة معنى "تاء التفريع".... والتقدير: فلو صرفوك عن بعض ما أوحينا إليك لاتخذوك خليلاً و"اللام" في قوله عز وجل "لاتخذوك" لام موطئة للقسم لأن الكلام على تقدير الشرط وهو: وهو لو صرفوك عن الذي أوحينا إليك لاتخذوك ضليلاً[2].

ونتأمل قوله عز وجل ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ من وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ منْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾[المؤمنون:٩١].

"إذن" حرف جواب وجزاء لكلام قبلها ملفوظ أو مقدر، والكلام المجاب هنا هو ما تضمنه قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ منْ إِلَهٍ﴾[المؤمنون:٩١]، فالجواب ضد ذلك النفي.

---

(١) التحرير والتنوير ١٥: ١٧٥.

(٢) التحرير والتنوير ١٥: ١٧٣.

وإذ قد كان هذا الضد أمر مستحيل الوقوع تعين أن يقدر له شرط على وجه الغرض والتقدير: والحرف المعد لمثل هذا الشرط هو "لو" الامتناعية فالتقدير: ولو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق.

وبقاء "اللام" في صدر الكلام الواقع بعد "إذن" دليل على أن المقدر شرط "لو" لأن اللام، تلزم جواب "لو" ولأن غالب مواقع "إذن" أن تكون جواب "لو" فلذلك جاز حذف الشرط هنا لظهور تقديره[1].

ونتوقف عند قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ﴾[النساء:١٤٠].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (فإن "إذن" حرف جواب وجزاء لكلام ملفوظ به أو مقدر. والمجازاة هنا لكلام مقدر دلَّ عليه النهي عن العقود منهم. فإن التقدير: إن قعدتهم معهم إذن إنكم مثلهم ووقوع "إذن" جزاء لكلام مقدر شائع في كلام العرب)[2].

ومنه أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت:٤٨].

فإن "إذن" احتفظت بوظيفتها، فهي (جواب وجزاء لشرط مقدر بـ"لو" لأنه مفروض، دلَّ عليه قوله تعالى "وما كنت تتلو" "ولا نخطه"، والتقدير: لو كنت تتلو قبله كتاباً أو تخطه لارتاب المبطلون، ومجيء جواب "إذن" مقترناً بـ"اللام" التي يغلب اقتران جواب "لو" بها دليل على أن المقدر شرط بـ"لو".

---

(١) المصدر نفسه ١٨: ١١٤.

(٢) التحرير والتنوير ٥: ٢٣٦.

وقال "المرزوقي" في شرح "ديوان الحماسة" إذا كان قول سيئون إذاً جواب وجزاء، كذلك، فها البيت: وفائدة "إذن" هو أنه أخرج البيت مخرج جواب قائل له: (ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن؟

فقال:

إذاً لقام بنصري معشر حشن عند الحفيظة إنْ ذو لوثة لانا

ويجوز أيضاً أن يكون (إذا لقام) جواب "لو" كأنه أجيب بجوابين، وهذا كما نقول: لو كنت حراً لاستقبحت ما يفعله العبيد، إذا لاستحسنت ما يفعله الأحرار... ومعنى البيت: إذاً والله لقام تبصرى، أي: لنكفل به قوم أشداء عند الغضب، إذاً الضعيف لان[1].

(١) المرزوقي –شرح ديوان الحماسة– نشره: أحمد أمين – عبد السلام هارون – دار الجيل – بيروت – ط(١) ١٩٩١ – ج١: ٢٦.

٥ - "ألا"

قال صاحب "التحرير والتنوير": (ألا: حرف استفتاح يفيد الاهتمام بالخبر الوارد بعده أي يفيد النية للعناية بالخبر). وهذا الرأي اتفق عليه أهل النحو، فهي (أداة تدل على تحقق ما بعدها وتدخل على الجملتين)[١]، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾[البقرة:١٣].

قال الزمخشري في تفسير القول الكريم: (ألا: مركبة من "همزة الاستفهام" وحرف النفي، لإعطاء معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً. كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ﴾[القيامة:٤٠].

ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدره بنحو ما يتلقى به القسم، وأختها التي هي "أمَّا" من مقدمات اليمين رد الله ما أدعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ ردّ وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف، وما في كلا الكلمتين "ألا" و"إن" من التأكد، وتعريف الخبر وتوسيط الفصل..)[٢]. والفرق بين "ألا" و"أمَّا"، أن "أمَّا" للحال، و"ألاّ" الاستقبال[٣] وقد فصل الطاهر بن عاشور رأي "الزمخشري" فقال: (لأنه مقام بيان الحق من الباطل فتحسن فيه الصراحة والصرامة كما تقرر في آداب المخاطبة وأعلن ذلك بكلمة "ألا" المؤذن بالتنبيه للخبر، وجاء بصيغة القصر على نحو ما قرر في ﴿أَلَا

---

(١) التحرير والتنوير ٩: ١٠٨.

(٢) الكشاف ١: ٧٠.

(٣) شرح المفصل ٨: ١١٥.

﴿إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾[البقرة:١٣]. لبدل على أن السفاهة مقصورة عليهم دون المؤمنين فهو إضافي لا محالة..

ومثله أيضاً قوله عز وجل: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢]. فإن افتتاح الكلام بأداة التنبيه "ألا" إيماء إلى أهمية شأنه ولذلك أكدت الجملة بـ"إن" بعد أداة التنبيه "ألا"(١).

---

(١) التحرير والتنوير ٤: ٢١٦.

٦- "إمَّا"

"إمَّا": مركبة عند "سيبويه"[١] من "إن" و"ما" وقد تحذف و"ما" مؤكدة لمعنى الشرط.. وقد (اصطلح أيمة رسم الخط على كتابتها في صورة كلمة واحدة رعياً لحالة النطق بها بإدغام النون في "الميم").

والأظهر أنها تفيد مع التأكيد عموم الشرط مثل أخواتها "مهما" و"أينما" وإذا اقترنت "ما" بـ"إن" الشرطية، اقترنت "نون" التوكيد بفعل الشرط كقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي﴾[مريم:٢٦].

فإن "النون" في قوله تعالى "ترين"، "نون" التوكيد الشديدة اتصلت بالفعل الذي صار آخره "ياء" بسبب حذف "نون" الرفع لأجل حذف الشرط، فحركت "الياء" بحركة مجانسة لها كما هو الشأن في "نون" التوكيد الشديدة لأن التوكيد الشرطي يشبه القسم، وهذا الاقتران غالب.

ولأنها لما وقعت توكيد للشرط تنزلت من أداة الشرط منزلة جزء الكلمة[٢]. ويفهم من كلام صاحب "التحرير والتنوير"؛ أن حكم اقتران "نون" التوكيد بالفعل في السياق المصدر بـ"إما" هو حكم "غالب".

وسبب اقتران "النون" بالفعل، لأن الشرط يشبه القسم فاقتضى اقتران "نون" التوكيد بالفعل في الغالب، أمَّا اقتران "إن" بـ"ما" فهو بمنزلة "الجزء" من

---

(١) الكتاب ١: ١٣٤-٤٧١.

٢: ٦٧.

يُنظر/المقتضب ٣: ٢٨.

(٢) التحرير والتنوير ١٦: ٩٤، ٩: ١٠٨، ١٠: ٤٩.

الكلمة. ونقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾[الأنفال:٥٧].

فقد جاء الشرط بحرف "إن" المقترنة بـ"ما" بعدها؛ لإفادة تأكيد وقوع الشرط وبذلك تنسلخ "إنْ" عن الإشعار بعدم الجزم بوقوع الشرط وزيد التأكيد باجتلاب "نون" التأكيد[1].

وقال (الرضي)[2] في (شرح الكافية): (لا يجيء إما إلا "نون" التوكيد بعده كقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾[مريم:٢٦].

وقال (ابن عطية) في قوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾[الأنفال:٥٧] دخلت "النون" مع "إما"؛ إما للتأكيد أو للفرق بينهما وبين "إما" التي هي حرف انفصال في قولك (جاءني إما زيد وإما عمرو..).

وقلت: دخول "نون" التوكيد بعد "إن" المؤكدة بـ"ما" غالب وليس بمطرد وإذا أريد توكيد فعل الشرط بـ"نون" الشرط وتعينت زيادة "ما" بعد "إنْ" فهما متلازمان عند "المبرد" و"الزجاج"، وصاحب "الكشاف" في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾[غافر:٧٧].

قال الزمخشري: (أصله "فإن نرك"، و"ما" مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك الحقت "النون" بالفعل ألا تراك تقول: إن تكرمني أكرمك).

بـ"نون التوكيد" ولكن تقول: إما تكرمني أكرمك.

وتقول "إن تكرمني أكرمك" بدون توكيد، كما يقال: "إما تكرمني" بدون "نون" التوكيد، وتقول "إن تكرمني".

ونقرأ أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[الأعراف:٢٠٠].

يقول صاحب "التحرير والتنوير": "إما" هذه هي "إن" الشرطية، اتصلت بها

---

(١) المصدر السابق ١٠: ٤٩.

(٢) شرح الكافية ٤: ٤٨٤.

"ما" الزائدة، التي تزاد على بعض الأسماء غير أدوات الشرط، فتصبرها أدواتها نحو "مهما"، فإن أصلها "ماما" ونحو "إذ ما" و"أينما" و"حيثما" و"كيفما"، فلا جرم أن "ما" إذا اقترنت بما يدل على الشرط اكتسبته قوة شرطية فلذلك كتبت "ما" هذه على صورة النطق بها ولم تكتب مفصولة "النون" عن "ما".

ومثله قوله تعالى في سورة "فصلت": ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾[فصلت:٣٦]. فقد (جيء في هذا الشرط بـ"إن" التي الأصل فيها عدم الجزم لوقوع الشرط ترفيعاً لقدرة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فإن نزغ الشيطان له إنما يفرض كما يفرض المحال، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠١].

فجاء في ذلك بحرق "إذا" التي الأصل فيها الجزم بوقوع الشرط أو يغلب وقوعه[١].

وقال عز وجل: ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾[الأعراف:١١٥].

قال صاحب "التحرير والتنوير": إنا حرف يدل على التردد بين أحد شيئين أو أشياء، ولا عمل له ولا هو معمول وما بعده يكون معمولاً للعامل الذي في الكلام ويكون "إما" بمنزلة جزء كلمة مثل "آل" المعرفة[٢].

ونقرأ أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾[يونس:٤٦]. فإن (كلمة "إما" هي "إن" الشرطية و"ما" المؤكدة للتعليق الشرطي كتبت في المصحف بدون "نون"، و"ميم" مشدّدة محاكاة لحالة النطق.

وقد أكد فعل الشرط بـ"نون" التوكيد في "نرينك" - فإن إذا أريد توكيد فعل الشرط بـ"النون" تعينت زيادة "ما" بعد "إن" الشرطية[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣: ٢٩٧.

(٢) المصدر السابق ٩: ٤٦.

(٣) المصدر نفسه ١١: ١٨٥.

وقد تخرج "إما" إلى معنى "التفصيل" نحو قوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان:٣] فإن "إما" في السياق الكريم (حرف تفصيل وهو حرف بسيط عند الجمهور) وقال سيبويه: (هو مركب من حرف "إن" الشرطية و"ما" النافية)[١].

وأجاز الكوفيون كون "إما" هذه هي "إن" الشرطية، و"ما" الزائدة.

قال مكي: ولا يجيز البصريون أن يلي الاسم أداة شرط حتى يكون بعده فعل[٢] يفسره، ورد عليه "ابن الشجري" بأن المضمر هنا "كان" ولذلك وجب تكرارها.

وقد اختار صاحب "التحرير والتنوير" منهج التحليل اللغوي في تفسيره فذكر أن "إما" (قد تجردت "إن" بالتركيب على الشرطية كما تجردت "ما" عن "النفي" فصار مجموع "إما"؛ حرف تفصيل ولا عمل لها في الاسم بعدها ولا تمتع العامل الذي قبلها عن العمل في معموله الذي بعدها، فهي في ذلك مثل "أل" حرف التعريف[٣]، أما "إما" -الثانية-؛ فقد قدّرها بعض النحاة حرف عطف[٤].

وقال صاحب "التحرير والتنوير": (هو تحكم إذ جعلوا الثانية عاطفة وهي أخت الأولى، وإنما العاطف "الواو"، وإما مفحمة بين الاسم ومعموله.

وقريب من ذلك قوله تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:١٠٦].

فإن ("إما" هنا حرف يدل على أحد شيئين أو أشياء ومعناها قريب من معنى "أو" التي للتخيير، إلا أن "إما" تدخل على كلا الاسمين المخبر بين مدلوليهما وتحتاج إلى أن تتلى بـ"الواو" و"أو" لا تدخل إلا على ثاني الاسمين وكان التساوي بين الأمرين مع "أما" أظهر منه مع "أو" لأن "أو" تشعر بأن الاسم المعطوف عليه مقصود ابتداءً.

---

(١) الكتاب ١: ١٣٤.

(٢) مغني اللبيب ١: ١٠٩-١١٠.

(٣) التحرير والتنوير ٢٩: ٣٧٦.

(٤) مغني اللبيب ١: ١١١.

وقد تخرج "إما" إلى معنى "التفصيل" كما في قوله تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾التوبة:١٠٦ فإن "إما" في القول الكريم (مركبة من حرف "إن" الشرطية و"ما" النافية...)[١].

وقد أجاز الكوفيون كون "إما" هذه هي "إن" الشرطية و"ما" الزائدة قال "مكي": (ولا يجيز البصريون أن يلي الاسم أداة شرط حتى يكون بعده فعل يفسره)[٢].

ورد عليه "ابن الشجري" بأن المضمر هنا "كان"... ولذلك وجب تكرارها. ويختار الشيخ الطاهر بن عاشور منهج التحليل فيذكر أن "إما" (قد تجردت "إن" بالتركيب على الشرطية، كما تجردت "ما" عن النفي فصار مجموع "إما" حرف تفصيل ولا عمل لها في الاسم بعدها ولا يمنع العامل الذي قبلها عن العمل في معموله الذي بعدها، فهي في ذلك مثل "آل" حرف التعريف أما "إما" الثانية فقد قدّرها بعض النحاة حرف عطف)[٣].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (هو تحكم، إذ جعلوا الثانية عاطفة وهي أخت الأولى وإنما العاطف "الواو"، و"إما" مقحمة بين الاسم ومعموله.

وقريب من هذا المساق قوله عز وجل: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾التوبة:١٠٦. فإن (إما هنا حرف يدل على أحد شيئين أو أشياء)، ومعناها قريب من معنى "....." التي للتخيير.

إلا أن "إما" تدخل على الاسمين المخبر بين مدلوليهما وتحتاج إلى أن تتلى بـ"الواو" و"أو" لا تدخل إلى على ثاني الاسمين.

وكان التساوي بين الأمرين مع "إما" أظهر منه مع "أو"، لأن "أو" تشعر بأن الاسم المعطوف عليه مقصود ابتداءً.

---

(١) المقتضب ٣: ٢٨.

(٢) مغني اللبيب ١: ١٠٩، ١١٠.

(٣) التحرير والتنوير ٢٩: ٣٧٦.

٧- "أمّا"

قال "أهل النحو":

(إنها؛ شرط وتفصيل وتوكيد).

أما أنها شرط فيدل لها لزوم الفاء بعدها نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾[البقرة:٢٦].

ولو كانت "الفاء" للعطف لم تدخل على الخبر، إذ لا يعطف الخبر على مبتدئه ولو كانت "الفاء" زائدة لصح الاستغناء عنها.

ولما لم يصح ذلك وقد امتنع كونها للعطف تعين أنا "فاء" الجزاء[1].

وقد فصل صاحب "التحرير والتنوير" بمهجه البلاغي المتميز فآثر عرض آراء أهل اللغة وتحليلها ليتفرد برأي لغوي أقرب إلى الواقع اللغوي المستعمل، فقال "أما" حرف موضوع لتفصيل مجمل ملفوظ أو مقدر.

ولما كان الإجمال يقتضي استشراف السامع لتفصيله.

كان التصدي لتفصيله بمنزلة سؤال مفروض، كأن المتكلم يقول: "إن شئت تفصيله فتفصيله كيت وكيت...).

فلذلك كانت "أما" متضمنة معنى الشرط ولذلك لزمتها "الفاء" في الجملة التي بعدها لأنها كجواب شرط.

---

(١) مغني اللبيب ١: ١٠٣.

وقد تخلو من معنى "التفصيل في خصوص قول العرب" أما بعد"

فتتمخض للشرط وذلك في التحقيق لخفاء معنى التفصيل، لأنه مبني على ترقب السامع كلاماً بعد كلامه...[1].

وقدرها سيبويه بمعنى "مهما يكن من شيء"[2].

وتلفقه أهل العربية بعده، وهو عندي تقدير معنى لتصحيح دخول "الفاء" في جوابها، وفي النفس منه شيء لأن دعوى قصد عموم الشرط غير بينة فإذا جيء بأداة التفصيل المتضمنة معنى الشرط دل ذلك على مزيد اهتمام المتكلم بذلك التفصيل، فأفاد تقوية الكلام التي سماها الزمخشري: "توكيداً".

إذ قال في "الكشاف"[3]: (إنها حرف فيه معنى الشرط، ولذلك يجاب بـ"الفاء"، وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد، تقول "زيد ذاهب"[4]، فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه فيه عزيمة. قلت: (أما زيد فذاهب).

ولذلك قال سيبويه -في تفسيره-: "مهما يكن من شيء" فزيد ذاهب. وهذا التفسير مدل لفائدتين؛ بيان كونه توكيداً، وأنه في معنى الشرط.

ويبدو أن قول صاحب "التحرير والتنوير": في الجملة المصدرة بـ"أما" أنه (ما هو إلا دلالة الاهتمام بالكلام)؛ لا يتقاطع هذا القول مع رأي "الزمخشري" في كونه "توكيداً" وأنها (مضمونة محقق لها اهتم به).

---

(١) التحرير والتنوير ١: ٢٦٣.

(٢) الكتاب ٢: ٣١٢.

يُنظر أيضاً: المقتضب ٣: ٢٧.

(٣) الكشاف ١: ١٢١.

(٤) الكتاب ٢: ٣١٢.

وبهذا يظهر فضل قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٦] على أن يقال (فالذين آمنوا يعلمون) بدون "أما" و"الفاء" وجعل تفصيل الناس في هذه الآية قسمين[١].

وقد تحذف "الفاء" في التنزيل كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[آل عمران:١٠٦].

قال الزمخشري: التقدير (فيقال لهم: "أكفرتم" و"الهمزة" للتوبيخ والتعجب من حالهم)، أي (حذف القول استغناء عنه بالمنقول متتبعة "الفاء" في الحذف)[٢].

ويفسر صاحب "التحرير والتنوير"[٣]: أنه (تفصيل للإجمال السابق سلك فيه طريق النشر المعكوس، وفيه إيجاز، لأنه أصل الكلام "فأما الذين اسودت وجوههم فهم الكافرون" يقال لهم أكفرتم... وأما الذين ابيضت وجوههم منهم المؤمنون وفي رحمة الله هم فيها خالدون).

ونقرأ قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[الفجر:١٥].

قال الزمخشري في تفسير القول الكريم: (فإن قلت: فكيف توازن قوله (فأمَّا الإنسان إذا ما ابتلاه ربه) وقوله (وأمَّا إذا ما ابتلاه)؛ وحق التوازن أن يقابل الواقعان بعد "أما" و"إما" تقول: (أما الإنسان فكفور وأما الملك فشكور).

أما إذا أحسنت إلى زيد فهو محسن إليك. وأما إذا أسأت إليه فهو مسيء إليك؟

قلت: هما متوازنان من حيث إن التقدير: (وأما هو إذا ابتلاه ربه) وذلك أن قوله عز وجل: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[الفجر:١٥] خبر المبتدأ الذي هو الإنسان ودخول

---

(١) التحرير والتنوير ١: ٣٥٤.

(٢) مغني اللبيب ١: ١٠٤.

(٣) التحرير والتنوير ٤: ٤٤.

"الفاء" لما في "أما" من معنى الشرط، والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير، كأنه قيل: (أما الإنسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء...)[1].

وينبه صاحب "التحرير والتنوير": إلى أن (الفاء؛ دلت على أن الكلام الواقع بعدها متصل بما قبلها ومتفرع عليه لا محالة، ودلت "أما" على معنى: مهما يكن من شيء وذلك أصل معناها ومقتضى استعمالها قوي بها ارتباط جوابها بما قبلها وقبل الفاء المتصلة بها فلاح ذلك برقاً وامضاً، وانجلى بلمعه ما كان غامضاً إذ كان تفريع ما بعد هذه "الفاء" على ما قبلها خفياً فلنبينه بياناً جلياً وذلك أن الكلام اشتمل على وصف ما كانت تتمتع به الأمم الممثل بها مما أنعم الله عليها به من نعم، وهم لاهون عن دعوة رسل الله ومعرضون عن طلب مرضاة ربهم مقتحمون المناكر التي نهوا عنها بطرون النعمة ومعجبون بعظمتهم.

فعقب ذكر ما كانوا عليه وما جازاهم الله به عليه من عذاب في الدنيا باستخلاص العبرة وهم تذكير المشركين بأن حالهم مماثل لحال أولئك ترفاً وطغياناً وبطراً[2].

فحسبوا أن إنذار الرسول (صلى الله عليه وسلم) إياهم بالعذاب ليس بصدق فتوهموا أن فعل الله بهم أدل على كرامتهم... فحصروا جزاء الخير في الثروة والنعمة وقصروا جزاء السوء على الخصاصة وقتر الرزق وقد تضمن هذا الوهم أصولاً انبنى عليها، وهي: إنكار الجزاء في الآخرة وإنكار الحياة الثانية وتوهم دوام الأحوال...

وهذا التفريع مرتبط بجملة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[الفجر:١٤]. بما فيه من العموم الذي اقتضاه كونها تذييلاً.

ولم يعرض أكثر المفسرين على بيان نظم الآية واتصالها بما قبلها عدا

---

(١) الكشاف ٤: ٧٣٧.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠: ٣٨٤ "بتصرف".

"الزمخشري" و"ابن عطية".

ونتوقف عند قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ ۞ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضُحى:١١].

قال صاحب "التحرير والتنوير"[1]: "أما" تفيد شرطاً مقدراً تقديره: مهما يكن من شيء فكان مفادها مشعراً لشرط آخر مقدر هو الذي اجتلبت لأجله "فاء" الفصيحة وتقدير نظم الكلام: إذا كنت تعلم ذلك وأقررت به فعليك بشكر ربك... وبين له الشكر بقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾[الضُحى:٩].

وقد جعل الشكر هنا مناسباً للنعمة المشكور عليها وإنما اعتبر تقدير: إذا أردت الشكر لأن شكر النعمة شاق إليه النفوس.

وصدر الكلام بـ"أما" -التفصيلية- وهذه التسمية أثرها صاحب "التحرير والتنوير" لأنه تفصيل لجمل الشكر على النعمة.

ولما كانت "أما" بمعنى "ومهما يكن من شيء" قرن جوابها بـ"الفاء"، و"اليتيم" هنا مفعول للفعل "تقهر" وقدم للاهتمام بشأنه، ولهذا القصد لم يؤت به مرفوعاً وقد حصل مع ذلك الوفاء باستعمال جواب "أما" أن يكون مفصولاً عن "أما" بشيء كراهية موالاة "فاء" الجواب لحرف الشرط.

ويظهر أنهم ما التزموا الفصل بين "أما" وجوابها بتقديم شيء من علائق الجواب إلا لإرادة الاهتمام بالمقدم، لأن موقع "أما" لا يخلو عن اهتمام بالكلام اهتماماً يرتكز في بعض أجزاء الكلام، فاجتلاب "اما" في الكلام أثر للاهتمام، وهو يقتضي أن مثار الاهتمام بعض متعلقات الجملة ولذلك هو الذي يعتنون بتقديمه وكذلك القول في تقديم "السائل" وتقديم "بنعمة ربك" على فعليهما.

---

(١) المصدر السابق ٣٠: ٤٠١.

٨- "أنْ" - المؤكدة - الزائدة -

ذكر أغلب النحاة أنَّ "أنْ" تطرد زيادتها بعد "لما" وهذا ما يفهم من قول سيبويه: (تكون "أن" توكيداً أيضاً في قولك (لمَّا أن فعل) كما كانت "إنْ" مع "ما")[١]، وتابعه المبرد وغيره من النحاة، وجميعهم يرى أنَّ الأكثر أن تقع "أنْ" زائدة بعد "لمَّا" التوقيتية.

وقد علَّل هؤلاء النحاة تلك "الزيادة" تعليلاً إعرابياً "متكلفاً" طغت عليه صيغة الإعراب، إذ ذكروا أنَّ "لمَّا" ظرف زمان، معناه: "وجود الشيء لوجوده غيره، وظروف الزمان غير المتمكنة لا تضاف إلى المفرد و"أنْ" المفتوحة تجعل الفعل بعدها في تأويل المفرد[٢]، فلم تبق لما مضافة إلى الجمل ولذلك حكموا بزيادتها.

وقد وردت "أنْ" بعد "لمَّا" في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

الموضع الأول: قوله عز وجل:﴿فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾[يوسف:٩٦]. أي "لما جاء البشير" المبادر بإبلاغ الخبر المسدّ بقصد إدخال السرور، وهذا البشير هو "يهوذا بن يعقوب" -عليه السلام- ولمّا ألقوا قميص سيدنا "يوسف" على وجه أبيه، رد إليه قوة بصره كرامة له ولولده "يوسف" -عليهما السلام- وخارقة للعادة...)[٣].

---

(١) الكشاف ٤: ٢٢٢، المقتضب ٢: ٢٦٢، شرح المفصل ج: ١٢٠، مغني اللبيب ١: ٦٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣: ٧٦.

(٣) التحرير والتنوير ١٣: ٥٣.

ويبدو أن الموقع "أنْ" في سياق "لّما" إشارات بلاغية، لا يمكن أنْ نسطحها بالرأي القائل؛ إنها "زائدة" للتوكيد...!!

وأولى الإشارات؛ كأن موقع "أنْ" يصور المسافة التي كانت بين قيام البشير بقميص "يوسف" -عليه السلام- وبين مجيئه، لبعد ما كان بين "يوسف" وأبيه "يعقوب" عليه السلام... وكانت سحب القلق والاضطراب تغطي ذلك الموقف لندرك عمق معنى قوله "يعقوب" -عليه السلام- "إني لأجد ريح يوسف" ولم يكن جاءه، فكان يحسّ به.

أما الإشارة الثانية فتنطلق من غنة "النون" في "أن" تلك الغنة وذلك الشجن المفرج إلى حد السرور والطرب بمقدم البشير[1].

ولما كان مجيء البشير إلى "يعقوب" عليه السلام بعد طول الحزن وتباعد المدة الزمنية، اقتضى ذلك وقوع "....." بعد "لّما" لخصوصيتها في؛ (التراضي الزمني والتعقيب والتعليق).

أما صاحب "التحرير والتنوير"، فقد تفرَّد برأي له بُعدان:

الأول: "أنْ" في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ...﴾[يوسف:٩٦]؛ "أن" مزيدة للتأكيد وهذا الرأي متفق مع ما ذهب إليه كثير من النحاة، باعتبار (وقوع "أن" بعد "لّما" التوقيتية كثير في الكلام...).

أما البعد الثاني "ابن عاشور" فقد ذكر أن (فائدة التأكيد في هذه الآية تحقيق هذه الكرامة الخاصة ليعقوب -عليه السلام-؛ لأنها خارق عادة ولذلك لم يؤت بـ"أن" في نظائر هذه الآية مما لم يكن فيه داعٍ للتأكيد[2].

---

(١) الحروف الزائدة في ضوء التفسير القرآني: ١٨.

(٢) التحرير والتنوير ١٣: ٥٣.

أما الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[العنكبوت:٣٣].

قال الزمخشري في تفسير قوله عز وجل "أن" صلة أكدت وجود الفعلين مترتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان، كأنه قيل: (كما أحسن بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ربك، وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم، "ذرعه"، أي: طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذرع والذرع؛ عبارة عن فقد الطاقة)[1].

ويفهم من كلام الزمخشري أن شرط وقوع "لّما" مصدرة لـ"فعلين" مترتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين، أما "أن" فترد في سياق "لما" لتفيد ترتيب زمن الفعلين، وتدل على مهلة لا يؤديها هذان الفعلان كأنهما وجدا في جزء واحد من البعد الزمني.

أي كأنه قيل (لما أحس بمجيئهم فاجأت المساءة من غير وقت خيفة عليهم).

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير": "أنْ" حرف مزيد للتوكيد، وأكثر ما يزاد بعد "لّما"، وهو يفيد تحقيق الربط بين مضمون الجملتين اللتين بعد "لّما"، فهي هنا، لتحقيق الربط بين مجيء الرسل ومساءة لوط بهم.

ومعنى تحقيقه هنا: سرعة الاقتران والتوقيت بين الشرط والجزاء تنبيهاً على أنَّ الإساءة، عقبت مجيئهم، وفاجأته من غير ريث...

فأريد هنا التنبيه على أنَّ ما حدث به من المساءة وضيق الذرع كان قبل أن يعلم بأنهم ملائكة جاءوا لإهلاك أهل القرية وقيل أن يقولوا: "ولا تخف ولا تحزن"[2].

---

(١) الكشاف ٣: ٤٣٨.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠: ٢٤٤، ٢٤٥.

فأنت ترى أن صاحب "التحرير" وإن اتفق مع ما ذهب إليه الزمخشري ولكنه في تفسيره تفرّد في الكشف عن بعض أسرار الإعجاز البلاغي لموقع تلك الأداة "أن" في سياق جملة "لما"، وقد وازن بين موضع "أنْ" في آية سورة "العنكبوت"، وقوله عز وج لفي سورة "هود".

إذ ينبهنا إلى أنَّ "أنْ" لم تقع مؤكدة في آية سورة "هود" لأن في تلك السورة تفصيلاً لسبب إساءته وشيق ذرعه، فكان ذلك مغنياً عن التنبيه عليه في هذه الآية: ﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾هود:٧٧. فكان التأكيد في آية سورة "العنكبوت" ضرباً من الإطناب وبناء فعل سيء "لأنَّ" المقصود حصول المفعول دون فاعله.

٩- "إنْ" المكسورة الهمزة المخففة النون [الشّرطية]

تابع صاحب "التحرير والتنوير"؛ وأي النحاة في أنَّ وظيفة "إنْ" الإعرابية "الجرم"، أما وظيفتها الدلالية فقد ذهب إلى أن الحكم (بعدم وقوع الشرط) بعد "إنْ" "الشرطية" هو "حكم غالب وليس مطلقاً"(١). نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[البقرة:٢١٧].

يقول صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قول الكريم: قوله تعالى ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[البقرة:٢١٧]تعريض بأنهم لا يستطيعون ردّ المسلمين عن دينهم، فموقع هذا الشرط موقع الاحتراس مما قد توهمه الغاية في قوله عز وجل ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾[البقرة:٢١٧].

ولهذا جاء الشرط بحرف "إنْ" المشعر بأن شرطه مرجو عدم وقوعه(٢)، ونقرأ أيضاً قوله عز وجل: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ﴾[الشعراء:٤].

فإن فعل الشرط بحرف "نشأ" المجزوم بعد "إنْ" الشرطية، ومفعوله محذوف يدلّ عليه جواب الشرط على الطريقة في حذف مفعول المشيئة، والتقدير "إن نشأ تنزيل آية ننزلها".

وجيء بحرف "إنْ" الذي الغالب فيه أن يشعر بعدم الجزم بوقوع الشرط

---

(١) التحرير والتنوير ٢٨: ٢١٥.

(٢) المصدر السابق ٢٠: ٣٣١.

للإشعار بأن ذلك لا يشاؤه الله لحكمة اقتضت أن لا يشاءه[1].

وقال تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾[البقرة:٢٠٩]. فقد (جيء في الشرط بـ"إنْ" لندرة هذا الزلل من الذين آمنوا أو: لعدم رغبة المتكلم في حصوله، إن كان الخطاب لمن آمن بظاهره دون قلبه...)[2].

ويرد صاحب "التحرير والتنوير" بعض أسرار خروج "إنْ" الشرطية عن دلالة "عدم الجزم بوقوع الشرط" إلى أنه قد يتحقق وقوعه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ﴾[الأعراف:٨٧].

فإنَّ "إنْ" هنا (ليست بمفيدة الشك في وقوع الشرط كما هو الشأن بل اجتليت هنا لأنها أصل أدوات الشرط).

وإنما تفيد معنى الشك أو ما يقرب منه إذا وقع العدول عن اجتلاب "إذا" حتى يصح اجتلابها، فأما إذا لم يصح اجتلاب "إذا" فلا تدل "إنْ" على شك، فكيف تفيد الشك مع تحقق المضي[3].

ومثله قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧].

يقول صاحب "التحرير والتنوير": (جيء في الشرط بحرف "إنْ" الذي الأصل فيه عدم الجزم بوقوع الشرط وهذا الحكم غالب وليس مطلقاً.

ويبدو أن إيثار "إنْ" في هذا السياق للإشارة إلى مشقة الشرط وشدته، ليجعل المطلوب به كالذي يشك في وفائه به)[4].

---

(١) المصدر نفسه ١٩: ٤٥.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٢٨٠.

(٣) التحرير والتنوير ٧: ٢٥٠.

(٤) المصدر نفسه ٢٨: ٢١٥.

ونتأمل قوله عز وجل: ﴿...إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[الجمعة:٦]. فقد جيء بـ"إنْ" الشرطية التي الأصل فيها عدم الجزم بوقوع الشرط مع أن الشرط هنا محقق الوقوع، إذ قد اشتهروا بهذا الزعم وحكاة القرآن الكريم في سورة "العقود = المائدة" ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[المائدة:١٨]. للإشارة إلى أن زعمهم هذا لما كان باطلاً بالدلائل كان بمنزلة الشيء الذي يفرض المستبعد كأنه ليس واقعاً[١] على طريقة قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾[الزُخرُف:٥].

ويفيد ذلك توبيخاً بطريقة الكناية والمعنى: إن كنتم صادقين في زعمكم فتمنوا الموت وهذا الجاء لهم حتى يلزمهم ثبوت شكهم فيما زعموا...

ثم أمعن النظر في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الحديد:٨]. يقول الطاهر بن عاشور: (جيء بالشرط المتعلق بالمستقبل مع أنه لا شك فيه بقصد إثارة همتهم الدينية، فيبرهنوا على أنهم مؤمنون حقاً يقدمون خشية الله على خشية الناس)[٢]. ومثله أيضاً قوله عز وجل: ﴿إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:٦٢]. فالشرط بـ"إن" مستعمل للحث والتوقع لإيمانهم لأنَّ ما حكي عنهم من الأحوال لا يبقى معه احتمال في إيمانهم فاستعمل الشرط للتوقع على الإيمان، وفيه أيضاً تسجيل عليهم إن عادوا مثل صنيعهم وأنهم كافرون بالله ورسوله[٣]. ومثله كذلك قوله عز وجل: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ﴾[الأنفال:٤١]. فالشرط هنا محقق، إذ لا شك في أن المخاطبين مؤمنون بالله والمقصود منه تحقق المشروط وهو مضمون جملة ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾[الأنفال:٤١] وجيء بالشرط بحرف "إنْ" التي شأن شرطها أن يكون مشكوكاً في وقوعه -كما ذكرنا سابقاً- زيادة في حثهم على الطاعة حيث يفرض

---

(١) المصدر نفسه ١٠: ٣١.

(٢) التحرير والتنوير ١٠: ٣١.

(٣) المصدر السابق ١٠: ٢٤٥.

في صورة المشكوك في حصول شرطي إلهاباً لهم ليبعثهم على إظهار تحقق الشرط فيهم[1].

أما قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ﴾[المائدة:١٧]. فإن أداة الشرط "إنْ" في قوله عز وجل: "إنْ أراد" مستعمل في مجرد التعليق من غير دلالة على المستقبل.

وقد يأتي فعل الشرط الواقع بعد "إنْ" مضارعاً لفائدة بلاغية يحققها السياق كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾[فاطر:٤]. فإن (الشرط بحرف "إنْ" الذي أصله أن يعلق به شرط غير مقطوع وقوعه وهذا وجه إيثار الشرط هنا بالفعل المضارع الذي في حيز الشرط يتمخض للاستقبال، أي: إنْ حدث منهم تكذيب بعدما قرع أسماعهم من البراهين الدافعة والمذكور جواباً للشرط؛ إنما هو سبب لجواب محذوف، إذ التقدير "وإن يكذبوك فلا يحزنك تكذيبهم"[2].

والأصل في تركيب الشرط أن تتصدر أداة الشرط "إنْ" أو غيرها فعل الشرط المجزوم -أو في محل جزم- ولكن قد يقع بعد أداة الشرط "إنْ" الاسم المرفوع لفائدة لغوية، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة:٦].

ويقول صاحب "التحرير والتنوير": (جيء بحرف "إنْ" التي شأنها أن يكون شرطها نادر الوقوع للتنبيه على أن هذا شرط فرضي لكيلا يزعم المشركون أنهم لم يتمكنوا من "لقاء النبي" (صلى الله عليه وسلم)... وهذا لا يعارض ما رأيناه من أن الشرط في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة:٦] بشرط فرضي فإنه يقنعني أن مقالة هذا الرجل وقعت بعد نزول الآية وجيء بلفظ "أحد من المشركين" دون لفظ "مشرك" للتنصيص على عموم الجنس؛ وتقديم "أحد" على "استجارك" للاهتمام بالمسند إليه ليكون أول ما يقرع السمع فيقع المسند بعد ذلك من نفس السامع موقع التمكن.

---

(١) المصدر نفسه ٦: ١٥١.

(٢) التحرير والتنوير ٢٨: ٢٥٦.

١٠- "إن" النافية

قال أهل النحو: تكون في معنى "ما"، تقول: إنْ زيد منطلق، أي: ما زيد منطلق..

وكان سيبويه لا يرى فيها إلا رفع الخبر، لأنها حرف نفي دخل على ابتداء وخبره كما تدخل "ألف الاستفهام فلا تُغيّره، وذلك كمذهب "بني تميم" في "ما" كما تدخل "ألف الاستفهام" فلا تغيره، وذلك كمذهب "بني تميم" في "ما" وغيرهم يجيز نصب الخبر على التشبيه بـ"ليس" كما فعل ذلك في "ما" وهذا هو القول، لأنه لا فصل بينها وبين "ما" في المعنى[1].

ومن مواضع "إنْ" النافية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾[الملك:٢٠].

يقول صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير القول الكريم: ذلك شأن الكافرين كلهم وهم أهل الشرك من المخاطبين وغيرهم.. أي: في غرور من الغفلة عن توقع بأس الله تعالى أو في غرورهم في اعتمادهم على الأصنام وتعريف "الكافرون" للاستعراض وليس المراد به "كافرون" معهودون، حتى يكون من وضع المظهر موضع الضمير.

---

(١) الكتاب ١: ٤٧٥.

والغرور: ظن النفس وقوع أمر نافع لها بمخائل تتوهمها بخلاف ذلك أو هو غير واقع... والمعنى: ما الكافرون في حال إلا في حال الغرور، وهذا قصر إضافي لقلب اعتقادهم أنهم في مأمن من الكوارث بحماية آلهتهم[1].

ونستخلص من هذا الكلام؛ تميز تفسيره بشمولية العناصر الدلالية ونستخلص من هذا الكلام؛ تميز تفسيره بشمولية العناصر الدلالية والأسلوبية والبلاغية، تبدأ من موافقة النحاة في مجيء "إنْ" فهو إنكار[2].

وقال الراغب[3] أكثر ما يجيء في جملتها يتعقبه "إلا"، ذكر صاحب "التطور اللغوي"[4]. أن (إنْ: تكاد تطابق "ما" في وظيفتها، وأكثر وقوعها قبل "غلا" للجناس بينها نحو ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾[الأنعام:٥٧]. واقرأ قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾[الكهف:٥].

يقول صاحب "التحرير والتنوير": جملة "إنْ يقولون إلاّ كذباً" مؤكدة لمضمون جملة: "تخرج من أفواههم" لأن الشيء الذي تنطلق به الألسن، ولا تحقق له في الخارج، ونفس الأمر هو الكذب. أي: تخرج من أفواههم خروج الكذب، فما قولهم ذلك إلا كذب، أي: ليست له صفة إلا صفة الكذب، هذا إذا جعل القول المأخوذ من "يقولون" خصوص قولهم "اتخذ الله ولداً"، ولك أن تحمل "تقولون" على العموم في سياق النفي، أي: لا يصدر منهم قول إلا الكذب، فيكون قصراً إضافياً، أي: ما يقولونه في القرآن والإسلام. أو ما يقولونه من معتقداتهم المخالف لما جاء به الإسلام فتكون جملة "يقولون"[5].. تذييلاً.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩: ٤٢-٤٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١: ٢٢٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص٢٧.

(٤) التطور اللغوي ص١١٥.

(٥) التحرير والتنوير ١٣: ٣٦.

ولعل من المناسب أن نشير هنا إلى "إنْ" النافية يغلب وقوعها في سياق "إلا" فتتحول دلالتها على النفي إلى دلالة "القصر" مع "إلا"، ولذلك يبطل عملها كأن "إلا" قلبت فائدة النفي إلى دلالة التوكيد بأسلوب القصر.

أما إذا جاءت أداة الجر "مِن" في سياق "إنْ" فتبدل على تأكيد استغراق النفي، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّن قَرْيَةٍ﴾[الإسراء:٥٨].

يقول صاحب "التحرير والتنوير": ("من" مزيدة بعد "إن" النافية لتأكيد استغراق مدخولها باعتبار الضمة المقدرة. أي: جميع القرى الكافرة كيلا بحسب أهل مكة عدم شمولهم)[١]. ومثله قوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾[الحجر:٢١]. فـ(المراد بـ"شيء" ما هو نافع للناس بقرينة قوله تعالى "وأنبتنا فيها من كل شيء موزون". وفي الكلام حذف الصفة، أي: شيء نافع للناس[٢]. كذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[الإسراء:٤٤]. (لما أسند التسبيح إلى كثير من الأشياء التي لا تنطق دلَّ على أنه مستعمل في الدلالة على التنزيه بدلالة الحال)[٣]. ونقرأ أيضاً قوله عز وجل: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾[يونس:٦٨].

يقول الطاهر بن عاشور: (جملة "إن عندكم من سلطان"؛ جواب ثان لقولهم اتخذ الله ولداً، فلذلك فصلت كما فصلت جملة "سبحانه" فبعد أن استدل على إبطال قولهم سجل عليهم أنهم لا حجة لهم في قولهم ذلك و"إنْ" حرف نفي، و"من" مزيدة لتأكيد النفي بالاستغراق أي: استغراق لقي جميع أنواع الحجة قوتها وضعيفها أي: لا حجة لكم، و"سلطان" محله رفع بالابتداء، وخبره "عندكم واشتغل آخر المبتدأ من الضمة بكسر حرف الجر "الزائدة")[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ١٥: ١٤٢.

(٢) المصدر السابق ١٣: ٣٦.

(٣) المصدر نفسه ١٥: ١١٤.

(٤) المصدر نفسه ١١: ٢٣١.

وقد تتصدر "إن" النافية الجملة الاستفهامية الخالية من "إلا" نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾[الأنبياء:١٠٩].

يقول الطاهر بن عاشور: إن التركيب (يشمل كل ما يوعدونه من عقاب في الدنيا والآخرة إن عاشوا أو ماتوا، و"إنْ" نافية وعلق فعل "أدري" عد العمل بسبب حرف الاستفهام وحذف العائد وتقديره[1]: ما توعدون به. ومثله قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[الأنبياء:١١١]. أي (ما أدري حكمة هذا التأخير فلعله فتنة لكم أرادها الله ليملي لكم إذ بتأخير الوعد يزداد في التكذيب والتولي وذلك فتنة)[2].

ونكاد يكون الدارس متيقناً أن كل موضع له خصوصية بلاغية ولطيفة لغوية، اقرأ مثلاً قوله تعالى: ﴿إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[الأنعام:٧]. والإشارة بهذا إلى مجموع ما شاهدوه من البينات[3]. وقال تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[الأنعام:٢٦].

يقول صاحب "التحرير والتنوير": (عقب الجملة المقصود بـ"إنْ" النافية و"إلاّ" أداة الاستثناء الملغاة "وإن يهلكون إلا أنفسهم"، وقوله عز من قائل "وما يشعرون" زيادة في تحقي الخطأ في اعتقادهم وإظهاراً لضعف عقولهم مع أنهم كانوا يعدون أنفسهم قادة الناس. ولذلك فالوجه أن يكون "الواو" في قوله تعالى "وما يشعرون" للعطف لا للحال ليفيد ذلك كون ما بعدها مقصوداً به؛ الإخبار المستقل لأن الناس يعدونهم أعظم عقلائهم...

ونتوقف عند قوله تعالى "حكاية عن قول نسوة المدينة في محاسن سيدنا "يوسف" عليه السلام: ﴿إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف:٣١]. فـ(إن قوله عز وجل "ما

---

(١) التحرير والتنوير ١٧: ١٧٤.

(٢) المصدر السابق ١٧: ١٧٤.

(٣) المصدر نفسه ٧: ١٨٣.

هذا إلا بشراً" مبالغة في فوته محاسن البشر فمعناه التفصيل في محاسن البشر ثم شبهنه بواحد من الملائكة بطريقة حصره في جنس الملائكة تشبيهاً بليغاً مؤكداً...)[1].

فأنت ترى أنَّ "القصر" أو "الحصر" بالنفي و"إلاّ" يعطي النفي قوة وتأكيداً، فلما عدت "إن" بمعنى "ما" وأقوى منها في الحصر آثرها السياق في سورة "يوسف" "ما هذا بشراً، إن هذا إلا ملك كريم" فنفي بـ"ما" ولما أريد إثبات صورة "الملك" لـ"يوسف" -عليه السلام- وهو بحاجة إلى توكيد النفي والإثبات، قال "إن هذا إلا ملك كريم".

ولعل (قوة توكيد النفي قد أغنى عن ذكر "الباء" في خبر "ما" النافية ومثله قوله عز وجل: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ﴾المجادلة:٢. النافية العاملة بـ"الباء" لأن النفي بهذا الأسلوب يفيد الجحد فاستغنى عن الباء).

---

(١) المصدر نفسه ١٢: ٢٦٣.

١١ - "إنَّ"

ذكر جمهور النحاة "أنَّ" المكسورة الهمزة المشددة "النون" أداة توكيد، تنصب الاسم وترفع الخبر.

تشبه من الفعل ما قدم مفعوله، وهي في القوة دون الأفعال نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[الأنفال:٥٨].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ذكر القرطبي عن النحاس أنه قال: "هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه،...

قلت: وموقع "إنَّ" فيه موقع التعليل للأمر برد عهدهم ونبذه، إليهم فهي مغنية غناء "فاء" التفريع كما قال عبد القاهر الجرجاني، وهذا من نعت الإعجاز)[1]...

وقال عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز": (وأعلم أن ههنا دقائق لو أن الكندي استقر وتصفح وتتبع مواقع "إن" ثم ألطف النظر وأكثر التدبر لعلم علم ضرورة أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل فأول ذلك وأعجبه ما قدمت لك ذكره في بيت بشار:

بكراً صاحبي قبل الهجر إن فلك النجاح في التكبر

وذلك أنه هل شيء أبين في الفائدة وأدل على أنْ ليس سواء دخولها وأن لا تدخل من أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به

---

(١) التحرير والتنوير ١٠: ٥٣.

حتى كأن الكلامين قد أفرعا إفراعاً واحداً وكأن أحدهما قد سبك في الآخر، هذه هي الصورة حتى إذا جئت إلى "إنَّ" فأسقطتها رأيت الثاني منهما قد نبأ عن الأول وتجافى معناه عن معناه ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل حتى تجيء بـ"الفاء" فتقول: "بكراً صاحبي قبل الهجير فذلك النجاح في التكبير") (وغنّها وهي لك الفداء فغناء الإبل الحداء)، ثم؛ ألا ترى "الفاء" تعيد الجملتين إلى ما كانتا عليه من الألفة ولا ترد عليك الذي كتب تجد بـ"إن" من المعنى، وهذا الضرب كثير في التنزيل حداً[1].

ثم كأني بصاحب "التحرير والتنوير" لم يتوقف عند استيعاب رأي "الجرجاني" إن هذ الضرب كثير جداً في التنزيل، ولم يكتف في الإشارة إلى بعض المواضع المماثلة، وإنما توقف عند كل موضع دلت فيه "إن" معنى التعليل نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[الحج:١]. قال الطاهر بن عاشور: (جملة "إن زلزلة الساعة شيء عظيم": في موضع العلة للأمر بالتقوى كما يفيد حرف التوكيد الواقع في مقام خطاب لا تردد للسامع فيه، والتعليل يقتضي أن لزلزلة الساعة أثراً في الأمر بالتقوى وهو أنه وقت لحصول الجزاء على التقوى وعلى العصيان وذلك على وجه الإجمال المفصل بما بعده في قوله تعالى "ولكن عذاب الله شديد").

وقوله عز من قائل: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[لقمان:١٧].

قال صاحب "التحرير والتنوير": جملة "إن ذلك من عزم الأمور": موقعها كموقع جملة "إن الشرك لظلم عظيم" (تحليل للنهي عنه وتهويل لأمره فإنه ظلم لحقوق الخالق وظلم المرء لنفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس

---

(١) دلائل الإعجاز ٢٩٨: ٢٩٩.

الجمادات وظلم لأهل الإيمان الحق)[1]. أما قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان:١٦]. فـ(لم نجعلها تعليلاً لأن مقام تعليم لقمان ابنه تقتضي أن الإبن جاهل بهذه الحقائق، وشروط التعليل أن يكون مسلماً معلوماً قبل العلم بالمعلل ليصح الاستدلال به)[2]. وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة:١٠٣].

قال الطاهر بن عاشور: جملة "إن صلواتك سكن لهم" تعليل الأمر بالصلاة عليهم بأن دعاءه سكن لهم، أي: خير.

أما قوله عز وجل: ﴿وَنَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[هود:٣٧]. فإن صاحب "التحرير والتنوير" يرى أن جملة "إنهم مغرقون". إخبار بما سيقع وبيان لسبب الأمر بصنع الفلك، وتأكيد الخبر بحرف التوكيد في هذه الآية مثال لتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل غير السائل المتردد منزلة السائل إذ قدم إليه من الكلام ما يلوح إلى جنس الخبر فيستشرفه استشراف السائل عن عين الخبر[3].

ثم نقرأ قوله عز وجل: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[يوسف:٥٣]. فإن جملة "وما أبرئ نفسي" تعليل لجملة "إن النفس لأمارة بالسوء" أي: لا أدعي براءة نفسي من ارتكاب الذنب لأن النفوس كثيرة الأمر بالسوء ويبدو أن لا تقاطع بين الدلالة الأصلية لـ"إنَّ" -وهي للتوكيد- وتضمنها أيضاً؛ بمعنى "التعليل"[4].

ونقرأ في سورة فصلت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾[فصلت:٤١]. يقول صاحب "التحرير والتنوير": موقع "إنْ" موقع "الفاء" للتعليل، وخبر "إنَّ" محذوف

---

(١) التحرير والتنوير ٢١: ١٥٥.

(٢) المصدر السابق ٢١: ١٥٣.

(٣) التحرير والتنوير ١٢: ٦٧.

(٤) المصدر السابق ١٣: ٥.

دلَّ عليه سياق الكلام، والأحسن أن يكون تقديره مما تدل عليه جملة الحالة من جلالة الذكر وتقاسته فيكون التقدير: (خسروا الدنيا والآخرة) أو: مما تذهب إليه نفس السامع البليغ.

ففي هذا الحذف توفير للمعاني، وإيجاز في اللفظ يقوم مقام عدة جمل وحذف خبر "إنّ" إذا دل عليه دليل وارد في الكلام[1].

وأجازه سيبويه في باب "ما يحسن السكوت عليه من هذه الأحرف الخمسة"[2]. وتابعة الجمهور يكن الفراء، اشترط لتكرار "إنّ"[3].

ونبه صاحب "التحرير والتنوير" -متفقاً مع جمهور المفسرين- إذ ذكر أن (خبر "إنّ" يجيء محذوفاً في القول الكريم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[الحج:٢٥]. فإن خبر "إن الذين كفروا" محذوف تقديره: نذقهم من عذاب أليم. دلَّ عليه قوله في الجملة الآتية: "ومن يرد فيه بإلحاد بظلمٍ نذقه من عذاب أليم". ويبدو للدارس أن لا تقاطع بين الدلالة الأصلية لـ"إنّ"، وهي التوكيد وبين دلالتها السياقية كـ"التعليل" مثلاً. كقوله عز وجل: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[النحل:٤٧].

قال الطاهر بن عاشور: (حرف "إنّ" مفيد للتعليل ومغن عن "فاء" التفريع - كما وضحه عبد القاهر الجرجاني- فهي مؤكدة لما أفادته "الفاء" والتعليل هنا لما فهم من مجموع المذكورات في الآية، من أنه تعالى قادر على تعليل هلاكهم. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[يوسف:٦].

---

(١) المصدر السابق ٢٣: ٣٠٧.

(٢) الكتاب ١: ٢٨٤.

(٣) التحرير والتنوير ٢: ٢٧٣-٢٧٤.

يقول صاحب التحرير: (تصدير الجملة بـ"إنَّ" للاهتمام لا التأكيد إذ لا يشك "يوسف" عليه السلام في علم الله وحكمته والاهتمام ذريعة إلى إفادة التعليل والتفريع في ذلك تعريض بالثناء على "يوسف" عليه السلام وتأهله لمثل تلك الفضائل).

وإنك تجد صاحب "التحرير والتنوير" يؤكد ما ذكره بعض البلاغيين موثقاً ذلك بمواضع من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[غافر:٢٠].

قال الطاهر بن عاشور: (توسيط ضمير الفصل مفيد القصر وإثبات المبالغة في السمع والبصر لله تعالى وتأكيد الجملة بحرف التأكيد تحقيق للقصر).

وقد ذكر "التفتازاني" في "شرح المفتاح" في مبحث "ضمير الفصل" أن القصر يؤكد.

ونقرأ أيضاً قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾[مريم:٤٠]. قال ابن عاشور: (وظهر لي: أن مجيء الفصل لمجرد التأكيد كثير إذا وقع ضمير الفصل بعد ضمير آخر.. نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾[طه:١٤]. وقوله عز وجل: ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[يوسف:٣٧].

١٢- "إنّما و"أنّما"

إتفق أهل النحو على أن "إن" المكسورة الهمزة، المشددة النون -و"أن"- المفتوحة الهمزة المشددة "النون"، تقتربان بـ"ما" فكفهما عن العمل.

قال المبرد: (أن تدخل "إن" زائدة مع "ما" فتردها إلى الابتداء كما تدخل "ما" على "إن" الثقيلة فتمنعها عملها وتردها إلى الابتداء في قولك: إنما زيد أخوك و﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾فاطر:٢٨.

وقال ابن هشام: الكافة عن عمل النصب والرفع، وهي متصلة بـ"إن" وأخواتها كذلك اتفق أهل النحو على أن "إنما" تفيد أقصى درجات التوكيد، وهو التوكيد بـ"القصر"، لكن هؤلاء النحاة اختلفوا في دلالة "أنما" (المفتوحة الهمزة المشددة النون) على التوكيد بأسلوب القصر.

وقد أثر صاحب "التحرير والتنوير" أن يفصل القلب، فاستشهد بالقول الكريم نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى﴾فصلت:٦.وإنما تفتح "همزتها" إذا وقعت معمولة لما قبلها ولم تكن في الابتداء كما تفتح همزة "أن"، وتكسر همزة "إن" لأن "إنما" و"أنما" مركبان من "إن" و"أن" مع "ما" الكافة الزائدة للدلالة على معنى "ما" و"إلا" حتى ذهب وهل بعضهم أن "ما" التي معها هي نافية اغتراراً بأن معنى "القصر"؛ إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه مثل "ما" و"إلا".

ولا ينبغي التردد في كون "أنما" -المفتوحة الهمزة- مفيدة القصر مثل أختها المكسورة الهمزة "إنما" وبذلك جزم الزمخشري في تفسير قوله تعالى في سورة

الأنبياء: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾الأنبياء:١٠٨]. كقولك: (إنما زيد قائم)، و"إنما يقوم زيد".

وقد اجتمع المثالان في هذه الآية، لأن "إنما يوحى إلي" مع فاعله بمنزلة: إنما يقوم زيد "وإنما إلهكم إله واحد" بمنزلة: إنما زيد قائم وفائدة اجتماعها: الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم): مقصود على استئثار بالوحدانية[1].

وآثر صاحب "التحرير والتنوير" إشارة الزمخشري، وفصل القصد منها فقال: ("أنما"؛ مفتوحة الهمزة، وهي أخت "إنما" المكسورة، وإنما تفتح همزتها إذا وقعت معمولة لما قبلها ولم تكن في الابتداء كما تفتح الهمزة "أن" وتكسر همزة "إن" لأن "إنما" أو "أنما" مركبان من "إن" أو "أن" مع "ما" الكافة الزائدة للدلالة على معنى "ما" و"إلا".

حتى ذهب وهل بعضهم أن "ما" التي معها هي النافية اغتراراً بأن معنى القصد إثبات الحكم ونفيه عما عداه مثل "ما" و"إلا" ولا ينبغي التردد في كون "أنما" المفتوحة الهمزة مفيدة القصر مثل أختها المكسورة الهمزة وبذلك جزم الزمخشري في تفسير سورة الأنبياء، وما رده أبو حيان عليه إنما هو مجازفة. فقوله "أنما إلهكم إله واحد" إدماج للدعوة إلى الحق في خلال الجواب حرصاً على الهدى[2].

وقد أكد صاحب "التحرير والتنوير" هذا الرأي في أكثر من موضع من الكتاب ومنها تفسيره قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾المائدة:٣٢]. قد اتفق علماء العربية على كون "أن" المفتوحة المشددة النون أختاً لحرف "أن" المكسورة الهمزة. وأنها مؤولة

---

(١) الكشاف ٣: ١٣٦.

(٢) التحرير والتنوير ٩٤: ٢٣٩.

بمصدر يسبك، أي: يؤخذ من خبر "أن" واتفقوا على كون "أن" المفتوحة الهمزة المشددة من الموصولات الحرفية الخمسة التي يسبك مدخولها وقد وقع في لسان العرب عن (الفراء) ما حاصله: أن "الفراء" تثبت لحرف "أن" معنى التفسير، علاوة على ما يثبته له جميع النحويين من معنى المصدرية، فصار حرف "أن" بالجمع بين القولين دالاً على معنى "التأكيد" باطراد ودالاً معه على المصدرية تارة وعلى معنى التفسير تارة أخرى بحسب اختلاف المقام[1].

في موضع آخر، يعرض ثاحب "التحرير والتنوير" لمسألة كتابتها في المصحف الشريف فقد ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾[آل عمران:١٧٨].

قال الطاهر بن عاشور: (إن "أن" أخت "إن" المكسورة الهمزة، و"ما" موصولة وليست "الزائدة"، وقد كتبت في المصحف كلمة واحدة.

كما تكتب "إنما" المركبة من "إن" أخت "أن" و"ما" الزائدة الكافة التي هي حرف حصر بمعنى "ما" و"إلا"[2].

وكان القياس أن تكتب مفصولة، وهو اصطلاح حدث بعد كتابة المصاحف لم تكن مطرداً في الرسوم القديمة على هذا اجتمعت كلمات المفسرين من المتقدمين والمتأخرين.

وأنا أرى: أنه يجوز أن يكون "أنما" من قوله تعالى "أنما نملي" أخذت "إنما" المكسورة وأنها مركبة من "أن" و"ما" الكافة "الزائدة" وأنها طريق من طرق القصر عند المحققين وأن المعني؛ ولا يحسبن الذين كفروا انحصارا إمهالنا لهم في أنه

---

(١) التحرير والتنوير ١٦: ١٧٦.

(٢) المصدر السابق ٤: ١٧٥-١٧٦.

خير لهم... ولهذا يكون رسم كلمة "أنما" المفتوحة الهمزة في المصحف جارياً على ما يقتضيه إصلاح الاسم[1].

وقد يخطر في ذهن الدارس السؤال الآتي؛ هل يشترط لدلالة "أنما" على القصر أن تقع في سياق جملة مصررة "إنما" المكسورة؟ يقول صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[الكهف:١١٠].

و(إنما) أخت "إنما" وهما مركبتان من "إن" و"ما" الكافة، و"أن" و"ما" الكافة، وكلاهما يفيد القصر. وليس مشروطاً لدلالة "أنما" المفتوحة على القصر أن تقع في سياق جملة مصررة بـ"إنما" المكسورة، بل تلتزم "أنما" تلك الدلالة وقد تفردت بالجملة من دون "إنما" المكسورة كما في قوله عز وجل: ﴿أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[المائدة:٩٢].

فإن كلمة "أنما" بفتح الهمزة تفيد الحصر مثل "إنما" المكسورة الهمزة فكما أفادت المكسورة الحصر بالاتفاق، فالمفتوحة يفيد الحصر، لأنها فرع من المكسورة، إذ هي أختها ولا ينبغي بقاء خلاف من خالف في إفادتها الحصر، والمعنى: أن أمره محصور في التبليغ لا يتجاوز على القدرة على هدى المبلغ إليهم. ومثله قوله تعالى: ﴿إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[ص:٧٠].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (قد ركبت هذه الجملة من طريقين للقصر؛

أحدهما: طريق النفي والاستثناء.

الآخر: طريق "أنما" المفتوحة الهمزة، وهي أخت "إنما" المكسورة في معانيها التي منها إفادة الحصر، ولا التفات إلى قول من نفوا إفادتها الحصر، فإنها مركبة

---

(١) المصدر نفسه ٢٣: ٢٩٩.

من "أن" المفتوحة الهمزة و"ما" الكافة وليست "أن" المفتوحة الهمزة، إلا "إن" المكسورة.

تغير كسر همزتها إلى فتحة لتفيد معنى مصدرياً مشرباً بـ"أن" المصدرية إشراباً بديعاً جعل شعاره فتح همزتها لتشابه "أن" المصدرية في فتح الهمزة، وتشابه "إن" في تشديد النون. وهذا من دقيق الوضع في اللغة العربية)[1].

وتكون "أنما" مفتوحة الهمزة، إذا جعلت معمولة لعامل في الكلام والذي يقتضيه مقام الكلام هنا، أن فتح همزة "أنما" لأجل "لام" تعليل مقدرة مجرور بها "أنما" والتقدير: ألا لأنما أنا نذير، أي إلا لعلة الإنذار، أي: إلا لعلة الإنذار، أي: ما أوحي إلي نبأ الملأ الأعلى لأنذركم به أي: ليس لمجرد القصص.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣: ٢٩٨-٢٩٩.

١٣ - "أنّى"

إسم لمكان مبهم تبينه جملة مضاف هو إليها نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مَـرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا﴾[آل عمران:٣٧]. فـ"أنّى" استفهام عن مكان، أي: (من أين لك هذا). فلذلك كان جوابها استفهام قوله عز وجل "من عند الله".

(وقد كثر استعماله مجازاً في معنى "كيف" بتشبيه حال الشيء بمكانه لأن "كيف" اسم للحال المبهمة بينهما عاملة نحو "كيف شاء" وكثر تضمينه معنى الاستفهام في استعمالاته.

وقد يكون للمكان المجازي فيفسر بمعنى "كيف")[١] نحو قوله تعالى: ﴿قُلْـتُمْ أَنَّى هَـذَا﴾[آل عمران:١٦٥]. كذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[يونس:٣٤]. أي: (فإلى أي مكان تقلبون، والقلب مجازي، وهو إفساد الرأي، و"أنّى" هنا استفهام عن مكان مجازي شبهت به الحقائق التي يجول فيها التفكير واستعار المكان إليها...)[٢].

أما قوله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[المنافقون:٤]. فالاستفهام هنا مستعمل في التعجب على وجه المجاز المرسل لأن الأمر العجيب من شأنه أن يستفهم عن حال وصوله، فالاستفهام عنه من لوازم أعجوبته، فجملة "أنّى يؤفكون" بيان للتعجب الإجمالي المفاد بجملة "قاتلهم الله".

---

(١) التحرير والتنوير ٢: ٣٧١-٣٧٢.

(٢) المصدر السابق ١١: ١٦١.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾[البقرة:٢٤٧]. فإن "أنى" جاءت بمعنى "كيف" وهو استفهام مستعمل في التعجب تعجبوا من جعل مثله ملكاً وكان رجلاً من بيت فقير.

ونقرأ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾[آل عمران:٤٠]. فهو (استفهام مراد منه التعجب، قصد منه تعرف إمكان الولد و"أنّى" فيه بمعنى التعجب، وهذا التعجب يستلزم الشكر على هذه المنة فهو كناية عن الشكر)[١].

كذلك قوله عز وجل: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾[آل عمران:٤٧]. فـ(الاستفهام في قولها "أنى يكون لي ولد" للإنكار والتعجب ولذلك أجيب جوابين؛ أحدهما: "كذلك الله يخلق ما يشاء" فهو لرفع إنكارها والثاني: "إذا قضى أمراً" لرفع تعجبها[٢].

أما قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[يونس:٣٤]. فـ(أنّى: بمعنى "من أين"، وهو استفهام تعجبي إنكاري. أي "لا يوجد موجب يصرفكم توحيده، وبني "تؤفكون" للمجهول لعدم تعيّن صارفهم عن توحيد الله وهو مجموع أشياء...)[٣].

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[التوبة:٣٠]. فـ(الاستفهام بـ"أنّى" مستعمل في التعجب من حالهم في إتباع الباطل حتى شبه المكان الذي يصرفون عليه باعتقادهم بمكان مجهول من شأنه أن يسأله عنه باسم الاستفهام عن المكان)[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ٣: ٢٤١، ٢٤٢.

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه ٧: ٣٨٤.

(٤) المصدر نفسه ١٠: ١٦٩.

١٤ - "أو"

قال ابن هشام في "مغني اللبيب": (إن "أو" موضوعة لأحد شيئين أو الأشياء وهو الذي يقوله المتقدمون وقد تخرج إلى معنى "بَلْ" وإلى معنى "الواو". وأما بقية المعاني فمستفادة من غيرها ومن العجب أنهم ذكروا أن من معاني صيغة "أفعل" و"التخيير"، و"الإباحة" ومثلوه بنحو "خذ من مالي درهماً أو ديناراً"، أو "جالس الحسن أو ابن سيرين")[1]. ثم ذكر له النحاة المتأخرون معاني انتهت إلى اثنى عشر...

وقد أشار صاحب "التحرير والتنوير" إلى أكثر من دلالة فـ"أو" تتنوع بحسب تنوع المقام أو القرائن الأخرى. كما في قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ۞ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾[البقرة:١٩].

يقول الطاهر بن عاشور: (عطف قوله عز وجل "أو كصيب" على التمثيل السابق، وهو قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾[البقرة:١٧] ، أعيد تشبيه حالهم بتمثيل آخر وبمراعاة أوصاف أخرى).

وقد استغربت من استعمالاتهم قد يسلكون عطف تشبيه على تشبيه كقول امرئ القيس:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبي مكلل

يضيء سناه أو مصابيح راهبٍ ... أمال السليط بالذبال المفتل

---

(١) مغني اللبيب ١: ١٢٢.

وكثر أن يكون العطف في نحوه بـ"أو" دون "الواو"[1]...

وفي موضع آخر يقول صاحب "التحرير والتنوير": و("أو" موضوعة لأحد شيئين أو الأشياء، فيتولد منها معنى التسوية وربما سلكوا في إعادة التشبيه مسلك الاستفهام بالهمزة، أي: لتختار التشبيه بهذا أم بذلك)[2].

ونقرأ قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة:٧٤]. يقول صاحب "التحرير والتنوير": ("أو" في قوله تعالى "أو أشد قسوة" بمعنى "بل" الانتقالية، لتوفر شرطها؛ وهو كون معطوفها جملة وهذا المعنى متولد من معنى التخيير الموضوعة له. أو لأن الانتقالية تنشأ عن التخيير، ويجوز أن تكون للتخيير في الأخبار عطفاً على الخبر الذي هو "كالحجارة").

ولك أن نقول: "هم أشد منها"، وذلك يفيد مفاد الانتقال الذي يدل عليه "بل" وهو؛ إنما يحسن في مقام الذم لأن فيه تلطفاً. وأما في مقام المدح فالأحسن هو التعبير بـ"بل".

ونقرأ أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[النحل:٧٧].

قال الطاهر بن عاشور: "أو" في قوله تعالى "أو هو أقرب" للإضراب الإنتقالي إضراباً عن التشبيه الأول: بأن المشبه أقوى في وجه الشبه من المشبه به فالمتكلم يخيل للسامع أنه يريد تقريب المعني إليه بطريق التشبيه ثم يعرض عن التشبيه بأن المشبه أقوى في وجه الشبه وأنه لا يجد له شبهاً فيصرح بذلك فيحصل التقريب ابتداءً ثم الإعراب عن الحقيقة ثانياً[3].

---

(١) التحرير والتنوير ١: ٣١٤.

(٢) المصدر السابق ١: ٣١٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢٧: ٤٨.

ومن أمثلة دلالة "أو" على "التخيير" قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[النجم:٩]. يقول صاحب "التحرير والتنوير": قوله تعالى "أو أدنى" فيه للتخيير في التقدير وهو مستعمل في التقريب، أي: إن أراد أحد تقريب هذه المسافة فهو مخير بين أن يجعلها قاب قوسين أو أدنى، أي: لا أزيد إشارة إلى أن التقدير لا مبالغة فيه.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[الصافات:١٤٧]. فقد اختلف النحاة في دلالة "أو" في قوله عز وجل "أو يزيدون" بمعنى "بل" على قول "الكوفيين" واختاره "الفراء" و"أبو علي الفارسي" و"ابن جني" و"البصريون" لا يجيزون ذلك إلا بشرطين؛ أن يتقدمها "نفي" أو "نهي". وأن يعاد العامل وتأولوا هذه الآية بأن "أو" للتخيير.

والمعنى: إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول "هم مائة" أو يقول "يزيدون" ويرجحه أن المعطوف بـ"أو" غير مفرد، بل هو كلام مبين ناسب أن يكون الحرف للإضراب[١].

ثم نقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ﴾[البقرة:١٣٥]. قال الطاهر بن عاشور: ("الواو" في "وقالوا" عائد لليهود والنصارى بقرينة مساق الخطاب في "وقالوا إن كنتم شهداء"، وقوله تعالى "ولكم ما كسبتم" و"أو" في قوله عز وجل "أو نصارى"؛ بتقسيم بعد الجمع، لأن السامع يرد كلامٍ إلى من قاله...)[٢].

وقد نقل عن "ابن الشجري" عن بعض الكوفيين؛ أنها لـ"التبعيض" وقال ابن هشام: (والذي يظهر لي أنه إنما أراد معنى التفصيل فإن كل واحد مما قبل "أو"

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣: ٧٩-٨٠.

(٢) المصدر السابق ١: ٧٣٦.

التفصيلية وما بعدها بعض لما تقدم عليها من المحل، ولو أنها ذكرت لتفيد مجرد معنى التبعيض)[1].

أما قوله عز وجل: ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[البقرة:٢٣٦]. فإن "أو"؛ بمعنى "إلا" أو "حتى"، وهي التي ينتصب المضارع بعدها بـ"أن" واجبة الإضمار بناءً على إمكان هنا، وعلى أنه أبعد من الخفاء في دلالة "أو" العاطفة في سياق النفي على انتفاء كلا المتعاطفين إذ قد يتوهم أنها لنفي أحدهما كشأنها في الإثبات، وبناءً على أنه أنسب لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[البقرة:٢٣٧]. حيث اقتصر في التفصيل على أحد الأمرين. فدل بذلك على أن الصورة لم تدخل في التقسيم السابق وذلك أنسب أن تكون للاستثناء أو الغاية، لا العطف.

وقال صاحب "التحرير والتنوير": "أو" في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[البقرة:٢٣٧]عاطفة على "تمسوهن" المنفي، و"أو" إذا وقعت في سياق النفي تفيد مفاد "واو" العطف، فتدل على انتفاء المعطوف والمعطوف عليه معاً ولا تفيد المفاد الذي تفيده في الإثبات وهو كون الحكم لأحد المتعاطفين نبّه على ذلك الشيخ "ابن الحاجب" في أماليه. وصرح به "التفتازاني" في شرح "الكشاف"، وقال "الطيبي"؛ إنه يؤخذ من كلام "الراغب" وهو التحقيق.

ومن أمثلة دلالة "أو" على التسوية قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾[النساء:١٣٥]. قال الطاهر بن عاشور: "أو" هنا للتقسيم[2]. ومثله قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ﴾[الكهف:١٩]. أي: (منهم من قال: لبثنا يوماً، ومنهم قال: لبثنا بعض يوم).

---

(١) مغني اللبيب ١: ١١٩.

(٢) التحرير والتنوير ٥: ٢٢٧.

وعلى هذا يجوز أن تكون "أو" للتقسيم في القول[1] بدليل قوله عز وجل: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[الكهف:١٩] وقد احتفظت "أو" بمثل هذه الدلالة -أي التقسيم- في قوله تعالى: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[الذاريات:٥٢]. ومعناه: قال بعضهم ساحر وقال بعضهم مجنون. وقال ابن هشام في دلالة "أو" في قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ:٢٤]. إن "أو" تفيد الإبهام[2].

أما صاحب "التحرير والتنوير" فقد ذهب إلى أن "أو" (عطف على الاستفهام إبراز المقصد بطريقة خفية توقع الخصم في شرك المغلوبية وذلك بترديد حالتي الفريقين بين هدى وحالة ضلال، لأن حالة كل فريق لما كانت على الضد من حالة الفريق الآخر بين موافقة الحق وعدمها تعين أن أمر الضلال والهدى دائر بين الحالتين لا يعدونها ولذلك جيء بحرف "أو" المفيد للترديد المنتزع من الشك)[3].

ويلخص الطاهر بن عاشور بعض الإشارات الدلالية، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[الإنسان:٢٤].

فيقول صاحب "التحرير والتنوير": حرف "أو" لم يعد أصل معناه من عطف تشريك أحد شيئين أو أشياء في خبر أو طلب، وهذا "التشريك" يفيد تخييراً أو إباحة أو تقسيماً أو شكاً أو تشكيكاً، بحسب المواقع وبحسب عوامل الإعراب، لتدخل "أو" التي تضمر بعدها "أن" فتنصب المضارع وكون المشرَّك بها واحداً من متعدد ملازم لمواقعها كلها[4].

---

(١) المصدر السابق ١٥: ٢٨٤.

(٢) مغني اللبيب ١: ١١١.

(٣) التحرير والتنوير ٢٢: ١٩٢.

(٤) المصدر السابق ١٤: ٤٠٥.

١٥ - "أيَّان"

ذكر الطاهر بن عاشور أن ("أيَّان" اسم يدل على السؤال من الزمان وهو جامد غير متصرف، مركب من "أي" الاستفهامية و"آن" وهو الوقت ثم خففت "أي" وقلبت "آن"؛ "ياء" ليتأتى الإدغام فصارت "أيان" بمعنى "أي زمان".

ويتعين الزمان المسؤول عنه بما بعد "أيان" ولذلك يتعين أن يكون اسم معنى، لا اسم ذات، إذ لا يخبر بالزمان عن الذات، وأما استعمالها اسم شرط لعموم الأزمنة فلذلك بالنقل من الاستفهام إلى الشرط كما نقلت "متى" من الاستفهام إلى الشرطية.

وهي توسيعات في اللغة تصير معاني متجددة، وقد ذكروا في اشتقاق "أيان" احتمالات يرجعون بها إلى معاني أفعال، وكلها غير مرضية، وما ارتأيناه هنا أحسن منها[١].

و"أيان" في قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[الأعراف:١٨٧]. خبر مقدم لصدارة الاستفهام، و"مرساها" مبتدأ مؤخر وهو في الأصل مضاف عليه "آن" إذ الأصل "أي آن" مرسى الساعة[٢].

ومثله قوله عز وجل: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النحل:٢١]. قال صاحب "التحرير والتنوير": ("أيان" اسم استفهام عن الزمان مركبة من "أي" و"آن" بمعنى: أي زمن وهي معلقة لفعل "يشعرون" عن العمل بالاستفهام، والمعنى:

---

(١) التحرير والتنوير ٩: ٢٠١.

(٢) المصدر السابق ١٤: ١٢٧.

وما يشعرون بزمن بعثهم)[1].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[النازعات:٤٢]. فـ(إن "أيان" اسم يستفهم به عن تعيين الوقت، وهو مستعمل هنا في الاستعاد كناية عن الاستحالة؛ فـ"أيان مرساها" جملة مبنية للسؤال). واستعير الإرساء للوقوع والحصول تشبيهاً للأمر المغيب حصوله بسفينة ماحزة البحر ولا يُعرف وصولها إلا إذا رست.

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن تلك الآراء منثورة في كتب النحاة لكنك تجد اختيار أدقها وأصوبها في تفسير صاحب "التحرير والتنوير".

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾[القيامة:٦]. إن ("أيان" اسم استفهام عن الزمان البعيد لأن أصلها: (أن آن كذا) ولذلك جاء في بعض لغات العرب مضموم "النون" وإنما فتحوا النون في اللغة الفصحى لأنهم جعلوا الكلمة كلما ظرفاً فصارت "أيان" بمعنى "متى" فهو طلب تعيين أمد لحلول يوم يقوم فيه الناس).

أي: أنهم يسألون تعيين وقت معروف مضبوط بعد السنين ونحوها أو بما يتعين به عند السائلين من حذف يحل معه هذا اليوم[2].

وقال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾[الذاريات:١٢]. (أيان: اسم استفهام عن زمان فعل، وهو في محل نصب مبني على الفتح، أي: (متى يوم الدين)، فـ"يوم الدين" زمان، فالسؤال عن زمانه آيل إلى السؤال باعتبار وقوعه، فالتقدير: (أيان وقوع يوم الدين) أو حلوله، كما نقول: "متى يوم رمضان؟" أي: متى ثبوته، لأن أسماء الزمان حقها أن تقع ظروفاً للأحداث لا للأزمنة[3].

---

(١) المصدر نفسه ٢٠: ٢٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩: ٣٤٣.

(٣) المصدر السابق ٢٦: ٣٤٥.

١٦ - "أين"

تفرّد صاحب "التحرير والتنوير" بالإشارة إلى أن "أين" قد يكون في ظاهره استفهام عن المكان، لكن "السياق" والمقام قد يشربه أكثر من دلالة يفصح عنها السياق.

يقول الطاهر بن عاشور: (أصل السؤال بـ"أين" أنه استفهام عن المكان الذي يحل فيه (المسند إليه) نحو "أين بيتك؟" و"أين تذهبون؟" وقد يسأل عن الشيء الذي لا مكان له؛ فيراد الاستفهام عن سبب عدمه ويسأل أيضاً عن عمل أحد كان مرجواً عنه. فإذا حضر وقته ولم يحصل منه يسأل عنه بـ"أين"؛ كأن السائل يبحث عن مكانه تنزيلاً له منزلة الغائب المجهول مكانه)[١].

فالسؤال بـ"أين" في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآئِيَ﴾[النحل:٢٧]. عن الشركاء المزعومين، وهم حاضرون كما دلت عليه آيات أخرى: كما في قوله عز وجل: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[الصافات:٢٢]. ولما كان "أين" للاستفهام عن المكان اقتضى العلم بوجود من يحل في المكان ولما كان المقام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾[النحل:٢٧]. (مقام تهكم كان الاستفهام بـ"أين" عن المكان مستعملاً في التهكم ليظهر لهم كالطماعية للبحث عن آلهتهم وهم علموا أن لا وجود لهم ولا مكان لحلولهم)[٢].

---

(١) التحرير والتنوير ٨: ١٧٤.

(٢) المصدر السابق ١١: ١٣٦.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[القصص:٦٢]. فـ(الاستفهام بكلمة "أين" ظاهرة استفهام عن المكان الذي يوجد فيه الشركاء ولكنه مستعمل كناية عن انتفاء وجود الشركاء المزعومين يومئذ، فالاستفهام مستعمل في الانتفاء)[١].

وقد تكررت الجملة في سورة "القصص" فقال تعالى في الآية ٧٤: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[القصص:٧٤]. قال الطاهر بن عاشور: (للتكرار من مقتضيات التوبيخ فأعيد ذكر أن الله يناديهم بهذا الاستفهام التقريعي وفي السياق الكريم إظهار لعجزهم فيما زعموه من الشركاء)[٢].

ونقرأ قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[القيامة:١٠]. (أي: يقول الإنسان الكافر يومئذ: أين المفر؟ والاستفهام بـ"أين" مستعمل في التمني، أي: ليت لي فراراً في مكان نجاة ولكنه لا يستطيعه، و"أين" ظرف مكان)[٣].

وقال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله عز وجل: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[التكوير:٢٦]. (الفاء: لتفريع التوبيخ والتعجيز على الحجج المتقدمة المثبتة أن القرآن لا يجوز أن يكون كلام كاهن وأنه وحي من الله بواسطة الملك..

و"أين": اسم استفهام عن المكان، وهو استفهام إنكاري عن مكان ذهابهم، أي طريق ضلالهم، تمثيلاً لحالهم في سلوك طرق الباطل بحال من ضل الطريق الجادة. فيسأل السائل منكراً عليه سلوكه، أي: أعدل من هذا الطريق فإنه مضلة. ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملاً في التعجيز عن طلب طريق يسلكونه إلى مقصدهم من الطعن في القرآن. والمعنى: أنه قد سدّت عليكم طرق بهتانكم إذ

---

(١) المصدر نفسه ٢٠: ١٥٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢: ٧٢.

(٣) المصدر السابق ٢٩: ٣٤٥.

اتضح بالحجة الدافعة بطلان إدعائكم؛ أن القرآن "كلام مجنون أو كلام كاهن"، فماذا تدعون بعد ذلك.

وأعلم أن جملة "أين تذهبون" قد أرسلت مثلاً ولعله من مبتكرات القرآن، وكنت رأيت كلام بعضهم: أين يذهب بك لمن كان في خطأ وعماية[1].

---

(١) المصدر نفسه ٢٩: ٣٤٥.

١٧ - "أيّ"

قال أهل اللغة[١]: ("أيّ" اسم مبهم يطلب به تمييز شيء عن مشاركة فيما يضاف إليه، أي: يتعرف بما يضاف هو إليه، وهو اسم مبهم لا يفسره إلا المضاف إليه.

يقول المبرد في "المقتضب": (يسأل بها عن شيء من شيء تقول: (أي القوم زيد؟) فـ(زيد واحد منهم). أي؛ تقع على شيء هي بعضه، نحو: أي إخوانك زيد)[٢]. والأكثر في استعمال "أي" أنها إذا أضيفت إلى اسم مؤنث اللفظ لا تلحقها "هاء" التأنيث اكتفاءً بالتأنيث ما تضاف عليه لأن الغالب في الأسماء التي بصفات أن لا يفرق بين مذكرها ومؤنثها.

وقد أوجز "الطاهر بن عاشور" في ضوء رصده مواضع "أيّ" في سياق القول البليغ فقال في تفسير "التحرير والتنوير": (أي: اسم مبهم يتعرف بما يضاف هو إليه).

ويظهر في مدلول "أيّ" فرد أو طائفة متميز عن مشارك في طائفته من جنس أو وصف بميز واقعي أو جعلي. فهذا مدلول "أيّ" في جميع مواقعه، وله مواقع كثيرة في الكلام.

---

(١) ينظر مغني اللبيب ١: ١٣٨ وما بعدها.

(٢) المقتضب ٤: ٢١٧، ٢: ٢٩٤.

وقد يشرب "أي" معنى الموصول، ومعنى الشرط، ومعنى الاستفهام ومعنى التنويه الكامل، ومعنى المعرَّف بـ"ال" وُصل بندائه[1]. وهو في جميع ذلك يفيد شيئاً متميزاً عما يشاركه في طائفته المدلولة بما أضيفت إليه، فقوله تعالى: ﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾القلم:٦]. معناه: "أي رجل" أو: أيّ فريق منكم المفتون فـ"أي" في موقعه هنا اسم في موقع المفعول لـ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾القلم:٥].

ومن استعمال "أي" في الاستفهام قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾الأعراف:١٨٥]. فـ(أي: هنا اسم أشرب معنى الاستفهام وأصله مبهم يفسره ما يضاف إليه وهو اسم الحصة متميزة عما يشاركها في نوع من جنس أو صفة.. فإذا أشرب "أي" معنى الاستفهام كان للسؤال عن تعيين مشارك لغيره في الوصف المدلول عليه، بما تضاف إليه "أيّ" طلباً لتعيينه، فالمسؤول عنه بها مساوٍ لماثل له معروف، فقوله "فبأي حديث" سؤال عن الحديث المجهول الماثل للحديث بين السائل والمسئول[2].

أما قوله عز وجل "فبأي الفريقين": ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾الأنعام:٨١]. فإن (الاستفهام بـ"أي" للتقرير بأن فريقه هو وحده أحق بالأمن)[3]. ونقرأ أيضاً قوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾الرحمن:١٣].

يقول صاحب "التحرير والتنوير": ("أيّ" استفهام عن تعيين واحد من الجنس الذي تضاف إليه وهي هنا مستعملة في التقرير مذكر ضد ما يقربه مثل قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾الشرح:١].

ويبدو أن تكرار القول الكريم: ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾الرحمن:١٦]. قد ضمن

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠: ٦٦.

(٢) التحرير والتنوير ٩: ١٩٨.

(٣) المصدر السابق ٧: ٣٣١.

معنى التقدير دلالة التوبيخ[1]. وقال عز وجل: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[الكهف:١٢]. فـ(أي: اسم استفهام مبتدأ وهو معلق لفعل "يعلم" عن العمل و"أحصى" خبر عن "أي"، "أمداً" تمييز نسبة، أي نسبة التفضيل إلى موصوفة والمعنى: ليظهر اضطراب الناس في ضبط تواريخ الحوادث إذا تصدوا لها. ويعلم تفريط كثير من الناس في تحديد الحوادث وتواريخها، وكلا الحالين يمت إلى الآخر بصلة)[2].

وقد يحقق سياق "أيّ" أكثر من دلالة اقتضاها الحال والمقام كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[التوبة:١٢٤]. قال صاحب "التحرير والتنوير" قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَانًا﴾. خطاب بعضهم لبعض على سبيل التهكم بالمؤمنين، وبالقرآن؛ لأن بعض آيات القرآن مصرحة بأن القرآن يزيد المؤمنين إيماناً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[الأنفال:٢].

ولما كان الاستفهام في قولهم "أيكم" للاستهزاء كان متضمناً معنى إنكار أن يكون نزول سور القرآن يزيد سامعيها إيماناً توهماً منهم لأي ما لا يزيدهم إيماناً لا يزيد غيرهم إيماناً يقيسون على أحوال قلوبهم[3].

أما قوله عز وجل: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾[غافر:٨١].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ("أي": اسم استفهام يطلب به تمييز شيء عن مشاركة فيما يضاف إليه "أيّ" استعمل هنا في إنكار أن يكون شيء من آيات الله يمكن أن ينكر دون غيره من الآيات، فيفيد أن جميع الآيات صالحة للدلالة

---

(١) المصدر نفسه ٢٦: ٢٤٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٥: ٢٧.

(٣) المصدر السابق ١٠: ٦٥.

على وحدانية الله وقدراته، لا مصاغ لادعاء خفائه وأنهم لا عذر لهم في عدم الاستفادة من إحدى الآيات... وقد قال "وأي آيات الله" دون (فأية آيات الله)، لأن إلحاق علامة التأنيث بـ"أيّ" في مثل هذا قليل ومن غيره الغالب تأنيث (أيّ)[1].

وتتنوع دلالات "أيّ" بحسب تنوع قرائن السياق اللفظية والمعنوية، وبحسب تأثير المقام في تخصيص تلك الدلالة، فقد تفيد معنى الشرط أو كما يقول "الطاهر بن عاشور": "تشرب معنى الشرط". لأن (أي: اسم استفهام في الأصل، فإذا اقترنت بها "ما" الزائدة، أفادت الشرط كما تفيده "كيف" إذا اقترنت بها "ما" الزائدة، أفادت الشرط، ولذلك جزم الفعل بعدها، وهو "تدعوا" شرطاً، وجيء لها جواب مقترن بـ"الفاء" وهو "فله الأسماء الحسنى" والتحقيق أن "فله الأسماء الحسنى" علة الجواب والتقدير: (أي اسم من أسمائه تعالى تدعون فلا حرج في دعائه بعدة أسماء إذ له الأسماء الحسنى وإذ المسمى واحد...)[2].

ونقرأ أيضاً قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾[النجم:٥٥]. فإن (أي: اسم استفهام يطلب به تمييز مشارك في أمر نعم بما يميز البعض عن البقية من حال يختص به مستعمل هنا في التسوية كناية عن تساوي ما عُدّد من الأمور في أنها نعم على الرسول.

والمعنى: فبأي آلاء ربك يشكوك؟ أي: لا يستطيعون أن يشكوك في حال آلاء ربك التي هي نعم النبوءة)[3].

وتقع "أيّ" موصولة كما في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾[مريم:٦٩]. فإن (أي: اسم موصول بمعنى "ما" و"مَن" والغالب أن يحذف صدر صلتها فتبنى على الضم، وأصل التركيب: (أيهم هو أشد عتياً على الرحمن).

---

(١) التحرير والتنوير ٢٤: ٢١٨، ٢١٩.

(٢) التحرير والتنوير ١٣: ١٣٧.

(٣) المصدر السابق ٢٧: ١٥٦، ١٥٧.

وذكر صفة "الرحمان" هنا لتفظيع عتوهم، لأن شديد الرحمة بالخلق حقيق بالشكر له والإحسان لا بالكفر به والطغيان[1].

ثم تأمل حديث الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء:٢٢٧].

يقول صاحب "التحرير والتنوير": (هذه الآية تحذير من غمص الحقوق وحث عن استقصاء الجهد في النصح للأمة، وهي ناطقة بأهيب موعظة وأهول وعيد لمن تدبرها لما اشتملت عليه من "حرف التنفيس" المؤذن بالاقتراب ومن اسم الموصول المؤذن بأن سوء المنقلب يترقب الظالمين لأجل ظلمهم ومن الإبهام في قوله تعالى: ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء:٢٢٧].

إذ ترك تنبيئه بعذاب معين لتذهل نفوس الموعدين في كل مذهب ممكن من هول المنقلب وهو على الإجمال منقلب سوء...

والانقلاب هو الرجوع، وفعل العلم معلق بوجود اسم الاستفهام بعده، واسم الاستفهام في موضع نصب بالنيابة عن المفعول المطلق الذي أضيفت إليه و(كان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون بشدتها)[2].

---

(١) المصدر نفسه ١٦: ١٤٨.

(٢) التحرير والتنوير ١٩: ٢١٣.

١٨ - "بلى"

قال أهل اللغة: "بلى" حرف جواب أصلي الألف، وقال جماعة: الأصل "بل" والألف؛ زائدة.

وبعض هؤلاء يقول: إنها للتأنيث إمالتها، وتختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجرداً أم مقروناً بالاستفهام حقيقياً كان أو توبيخاً أو تقديراً[١].

وقال المبرد: (وإذا كانت "نَعَم" جواباً لكل كلام لا نفي فيه فإن "بلى" لا تكون جواباً إلا لكلام فيه نفي...)[٢].

وقال صاحب "التحرير والتنوير": "بلى": حرف جواب، وهو مختص بإبطال النفي، كما في قوله عز وجل: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾[آل عمران:٧٦].

و"بلى" غير مختصة بجواب الاستفهام المنفي بل يجاب بها عند قصد الإبطال وأكثر مواقعها في جواب الاستفهام المنفي.

وقد جيء في قوله تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى... ﴾[آل عمران:٧٦] بحكم عام ليشمل المقصود وغيره توفيراً للمعنى وقصراً في اللفظ[٣].

ومثله قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُخرُف:٨٠].

فإن "أم" منقطعة، والاستفهام المقدّر بعدها في قوله عز وجل "أم يحسبون" حُذفت منه أداة الاستفهام، وهو استفهام تقريري وتهديد وحرف "بلى" جواب

---

(١) مغني اللبيب ١: ١٩١.

(٢) المقتضب ٢: ٣٣٢.

(٣) التحرير والتنوير ٣: ٢٨٩.

للنفي من قوله تعالى "أنا لا نسمع" أي: بلى نحن نسمع سرهم وجوابهم[1].

ومثله أيضاً قوله عز وجل: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي﴾التغابن:٧. فـ(إنَّ "بلى" احتفظت هنا بدلالتها في كونها جواباً للإبطال خاص بجواب الكلام المنفي لإبطاله..)[2].

وقد تتضمن الجملة المصدّرة بـ"بلى" قصد إثبات ما نفي قبله كما في قوله تعالى: ﴿بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي﴾الزُمَر:٥٩. فإن (بلى: حرف لإبطال منفي أو فيه رائحة النفي لقصد إثبات ما نفي قبله في الخبر والاستفهام فتعين أن تكون هنا جواباً لقول النفس "لو أن الله هداني لكنت من المتقين".

لما تقتضيه "لو" التي استعملت للتمني من انتفاء ما تمناه وهو أن يكون الله هداه ليكون من المتقين أي: لم يهدني الله فلم أتقِ[3].

وقال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله تعالى: "قالوا: بلى شهدنا "بلى": حرف جواب لكلام فيه معنى النفي، فيقتضي إبطال النفي وتقدير المنفي ولذلك كان الجواب بها بعد النفي أصرح من الجواب بحرف "نعم" لأن "نعم" تحتمل تقدير النفي وتقدير المنفي... ولما كان المقام مقام إقرار كان الاحتمال فيه تقصياً من الاعتراف[4].

ونقرأ قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ﴾المُلك:٨،٩. فإن (جملة "ألم يأتكم نذير" استفهام للتوبيخ والتنديم ليزيدهم حسرة وجملة "قالوا: بلى قد جاءنا نذير". معترضة بين كلام خزنة جهنم اعتراضاً يشير إلى الفوج قاطع كلام الخزنة بتعجيل الاعتراف بما ونحوهم عليه، وذلك من شدة الخوف..).

وكان جوابهم جواب المتحسر المتندم فابتدءوا الجواب بحرف "بلى" المفيد

---

(١) المصدر السابق ٢٥: ٢٦٢.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦: ٢٧١.

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير ٢٤: ٤٨، ١٤: ١٥٤، ٢٨: ٢٧١.

(٤) المصدر السابق ٩: ١٦٩.

نقيض في الاستفهام، فهو مفيد بمعنى: (جاءنا نذير).

ولذلك كان قولهم "قد جاءنا نذير" مؤكداً لما دلت عليه "بلى" وهو من تكرير الكلام عند التحسر مع زيادة التحقيق بـ"قد" وذلك التأكيد هو مناط الندامة والاعتراف بالخطأ[1].

ونتوقف عند ردّ "الطاهر بن عاشور" على ما نقل عن "المعربين" أن الاستفهام الإنكاري في تأويل النفي..

فذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأحقاف:٣٣]. إن (موقع "بلى" هنا جواباً عن الاستفهام الإنكاري ولا يريبك في هذا ما شاع على ألسنة المعربين أن الاستفهام الإنكاري في تأويل النفي وهو هنا اتصل بفعل منفي بـ"لم" فيصير نفي النفي؛ إثباتاً فكان الشأن أن يكون جوابه بحرف "نعم" و"بلى"، لأن كلام المعربين أرادوا به أنه في قوة منفي عند المستفهم، ولم يريدوا أنه يعامل معاملة النفي في الأحكام وكون الشيء بمعنى شيء لا يقتضي أن تعطي جميع أحكامه[2].

وقال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله عز وجل: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَه ۞ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُسَوِّيَ بَنَانَه﴾[القيامة:٤]. (بلى: حرف إبطال للنفي الذي دل عليه (لن نجمع عظامه) فمعناه: بل نجمع عظامه على اختلاف المحملين في معنى الجمع... أي: بل نجمعها في حال قدرتنا على أن نسوي بنانه. ويجوز أن يكون "بلى" إبطالاً للنفيين؛ النفي الذي أفاده الاستفهام الإنكاري من قوله تعالى "أيحسب الإنسان..." والنفي الذي في مفعول "يحسب" وهو إبطال بزجر، أي: بل ليحسبنا قادرين)[3].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩: ٢٥-٢٦.

(٢) المصدر السابق ٢٦: ٦٣.

(٣) المصدر السابق ٢٩: ٣٤٠.

١٩- "تاء" القسم

قال أهل اللغة: (تقول: والله لأفعلن، وتالله لأفعلن وتبدل "الباء" من "الواو" ولا تدخل من القسم به إلا في "الله" وحده، ... وإنما امتنعت من الدخول في جميع ما دخلت فيه "الباء" و"الواو" لأنها لم تدخل على "الباء" التي هي الأصل.

وإنما دخلت على "الواو" الداخلة "الباء" فلذلك لم تتصرف[١] و"التاء" تختص بالتعجب، وباسم الله تعالى، وربما قالوا "تربى" و"ترب الكعبة" و"تالرحمن"[٢].

وقال الزمخشري في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾[الأنبياء:٥٧]. ("الباء": أصل حروف التعجب، كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره).

ولعمري إن مثله صعب متعذر في كل زمان، خصوصاً في زمن "نمرود" مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه[٣].

وقد نقل صاحب "التحرير والتنوير"[٤] عن "الطيبي" قوله: (أن المقسم عليه بـ"التاء" يكون نادر الوقوع، لأن الشيء المتعجب منه لا يكثر وقوعه، ومن ثم قلَّ استعمال "التاء" إلا مع اسم الجلالة، لأن القسم باسم الجلالة أقوى القسم كما

---

(١) الكتاب ٢: ١٤٣، المقتضب ٢: ٣٢٠.

(٢) مغني اللبيب ١: ١٩٥.

(٣) الكشاف ٣: ١٢٠.

(٤) التحرير والتنوير ١٣: ٤٢.

في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَـأُ تَـذْكُرُ يُوسُـفَ﴾ليوسف:٨٥. ﴿وَتَاللَّـهِ لأَكِيـدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾[الأنبياء:٥٧].

وقد أوجز "الطاهر بن عاشور" القول في "تاء" القسم، حينما قال إن "التاء" تختص بقسم على أمرٍ متعجب منه، وتختص باسم الجلالة[1].

(١) المصدر السابق ١٧: ٩٧.

٢٠- "ثُمَّ"

قال علماء اللغة: ("ثم" مثل "الفاء" إلا أنها أمثل تراخياً تقول: "ضربت زيداً ثم عمراً"، وأتيت البيت ثم المسجد ومررت برجل ثم امرأة، فالمرور ههنا مروران وجعلت "ثمّ الأول" مبدوءاً به..[١]. وقال "ابن هشام": (ثُمَّ: حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور التشريك في الحكم، الترتيب، المهلة)[٢].

أما ما تفرّد به صاحب "التحرير والتنوير"، فيمكن أن جمعه في مسألتين:

الأولى: أن دلالتها لا يمكن حصرها في عدد محدد بل الأدق والأصوب أن كل سياق تضمن "ثُمَّ" له دلالته التي اقتضاها المقام والحال.

الثانية: ما ذكره "ابن هشام" غير متفق عليه، وقد اختار صاحب "التحرير والتنوير" كون تلك الأحكام غالبة، وليست مطردة، وهذا ما تستنتجه من رصد بعض المواضع القرآنية ثم تحليلها".

لذلك نجد من المفيد والمناسب لتوضيح المسألتين السابقتين أن نتابع عرضه تلك الشواهد الكريمة، ومنها قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[التوبة:١١٨].

فقد نقل عن (الأخفش والكوفيين أن "ثُمَّ" قد تتخلف عن وظيفة التشريك وذلك

---

(١) الكتاب ١: ٢١٨، المقتضب ١: ١٠.

(٢) مغني اللبيب ١: ١٩٧.

بأن تقع زائدة فلا تكون عاطفة البتة. وخرجت الآية على تقدير الجواب...)[1].

أما صاحب "التحرير والتنوير" فيرى أن (ثُمَّ هنا للمهلة والتراخي الزمني وليست للتراخي الرتبي، لأن ما بعدها ليس أرفع درجة مما قبلها بقرينة السياق.

وهو مغنٍ عن جواب "إذا" لأنه يفيد معناه، فهو باعتبار العطف تنهية للغاية، وباعتبار المعطوف دال على الجواب)[2].

فأنت ترى أن "التراخي" نوعان؛ الأول: التراخي الزمني، الثاني: التراخي الرتبي، أي: أن ما بعد "ثم" يكون أرفع درجة مما قبلها بحسب قرينة السياق التي استغنت عن الجواب فلا مبرر لتقديره.

وتظل "ثم" محتفظة بوظيفة العطف: تنهية للغاية، وباعتبار المعطوف دال على الجواب.

ومن المواضع التي احتفظت "ثم" بدلالتها على "المهلة" والرتبة بنوعيها، قوله تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[طه:٥٠]. فإن "ثم" للترتيب بمعنييه (الزمني والرتبي) أي: خلق الأشياء ثم هدى إلى ما خلقهم لأجله.

قال الزمخشري في تفسير هذا القول الكريم: ("ثم هدى": عرف كيف يرتفق بما أعطى، وكيف يتوصل إليه، ولله در هذا الجواب ما أحضره! وما أجمعه! وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالباً للحق)[3].

وقد تلتزم "ثُمَّ" بدلالة واحدة في الترتيب؛ يقتضيها السياق للعدول عن العطف بـ"الواو" كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾[الأحزاب:١٤].

فإن "ثُمَّ" هنا للترتيب الرتبي، وكان مقتضى الظاهر أن يعطف بـ"الواو" لا

---

(١) المصدر السابق .....

(٢) التحرير والتنوير ١١: ٥٣.

(٣) الكشاف ٣: ٦٥.

بـ"ثُمَّ" لأن المذكور بعد "ثم" هنا داخل في فعل شرط "لو" ووارد عليه جوابها فعدل عن "الواو" إلى "ثُمَّ" للتنبيه، علماً أن ما بعد "ثُمَّ" أهم من الذي قبلها. كشأن "ثُمَّ" في عطف الجمل، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾[فاطر:٣٢].

فإن "ثُمَّ" للترتيب الرتبي -كما هو شأنها في عطف الجمل- فهي هنا لعطف الجمل عطفاً زكريا، فالمتعاطفات بها بمنزلة المستأنفات، فهذه الجمل كالمستأنفة و"للترقي في الاستئناف".

وهذا ارتقاء في التنويه بالقرآن المتضمن التنويه بمقام الرصول (صلى الله عليه وسلم) وخروج في مسرته وتبشيره[1]. وحمل الزمخشري "ثُمَّ" هنا (على التراخي الزمني)[2]. فاحتاج إلى تكلف في إقامة المعنى.

أما قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[الزُمَر:٦]. فقد تم تقديم نظير هذه الجملة في سورة الأعراف: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[الأعراف:١٨٩].

إلا أن في آية سورة "فاطر" عطف قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[الأعراف:١٨٩]

بحرف "ثُمَّ" الدال على التراضي الربي، لأن مساقها الاستدلال على الوحدانية وإبطال التشريك بمراتبه، فكان خلق آدم دليلاً على عظيم قدرته تعالى، وخلق زوجه من نفسه دليلاً آخر مستقل الدلالة على عظيم قدرته، فعطف بحرف "ثُمَّ" الدال في عطف الجمل على التراخي الرتبي إشارة إلى استقلال الجملة المعطوفة بها بالدلالة مثل الجملة المعطوفة هي عليها، فكان خلق زوج آدم منه أدل على عظيم القدرة من خلق الناس من تلك النفس الواحدة ومن زوجها، لأنه خلق لم تجربه عادة فكان ذلك الخلق أجلب لعجب السامع من خلق الناس فجيء له

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢: ٣١٠-٣١١.

(٢) الكشاف ٣: ٥٩٤.

بحرف التراخي المستعمل في تراخي المنزلة لا في تراخي الزمن لأن زمن خلق زوج آدم سابق على خلق الناس.

فأما آية الأعراف فساقها مساق الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد، فذكر الأصلان للناس معطوفاً أحدهما على الآخر بحرف التشريك في الحكم الذي هو الكون أصلاً لخلق الناس[1].

وفي هذا المساق يخطر في الذهن السؤال الآتي: هل تحتفظ "ثُمَّ" بدلالتها على الترتيب والمهلة إذا وقعت عاطفة جملة على جملة كما هي الحال في عطف المفرد على المفرد؟

ويفصل صاحب "التحرير والتنوير" الإجابة عن السؤال عند تفسير قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[البقرة:٢٩]. فقد (عطف "ثُمَّ" جملة "استوى..." على جملة "خلق لكم" ولدلالة "ثُمَّ" وهي مهلة تخييلية في الأصل تشير إلى أن المعطوف بـ"ثُمَّ" أعرف في المعنى الذي تتضمنه الجملة المعطوف عليها، حتى كأن العقل يتمهل في الأصول إليه بعد الكلام الأول فينتبه السامع لذلك كي لا يغفل عنه بما يسمع من الكلام السابق).

وشاع في الاستعمال حتى صار كالحقيقة، ويسمى ذلك "الترتيب الرتبي"[2]. وبـ"الترتيب الإخباري" -بكسر الهمزة- كقوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[البلد:١٣].

إلى أن قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[البلد:١٧].

ولما كان ذكر هاته الأمور التي يعزُّ إيفاؤها حقها مما يغفل السامع أمر آخر عظيم نبه عليه بالعطف بـ"ثُمَّ" للإشارة إلى أنه آكد وأهم...

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣: ٣٣١.

(٢) التحرير والتنوير ١: ٢٨٣.

وقد أشار المرزوقي في شرح "الحماسة" بإيجاز إلى تلك المسألة فذكر أن "ثم" وإن كان في عطفه المفرد على المفرد يدل على التراضي، فإنه في عطفه الجملة على الجملة ليس كذلك..

وعلق صاحب "التحرير والتنوير" على قول "المرزوقي" فذكر أن (إفادة التراخي الرتبي هو المعتبر في عطف "ثُمَّ" للحمل سواء وافقت الترتيب الوجودي مع ذلك أو كان معطوفها متقدماً في الوجود، وقد جاء في الكلام الفصيح ما يدل على معنى البعدية في الرتبة، وإن كان عكس الترتيب الوجودي فتكون البعدية مجازية مبنية على تشبيه البون المعنوي بالبعد المكاني أو الزماني).

ومنه قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[القلم:١٣]. فإذا تمخضت "ثُمَّ" للتراخي الرتبي حملت عليه، وإن احتملته مع التراضي الزمني. فظاهر قول المرزوقي: فإنه في عطف الجملة ليس كذلك أنه حينئذ لا يحتمل التراخي الزمني، ولكن يظهر جواز الاحتمالين. وذلك حين يكون المعطوف بها متأخراً في الحصول على ما قبلها وهو مع ذلك أهم[1].

ثم تأمل ما تفرد به الطاهر بن عاشور، إذا أعلن أنه قد (تتبع هذا الاستعمال في مواضعه فرأى أكثر من يرد فيما إذا كانت الجمل إخباراً عن مخبر عنه واحد، بخلاف ما إذا اختلفت المخبر عنه فإن "ثُمَّ" تتعين للمهلة الزمنية كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ﴾[البقرة:٨٤]. إلى قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة:٨٥].

أي: بعد أن أخذنا الميثاق بأزمان صرتم تقتلون أنفسكم ونحو قولك: مررت بكتيبة الأنصار ثم مررت بكتيبة المهاجرين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[فصلت:١١].

---

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ١: ٣٨٣.

إذا كانت السماوات متأخراً خلقها عن خلق الأرض، فـ"ثُمَّ" للتراضي الرتبي لا محالة هو التراضي الزمني، وإن كان خلق السماوات سابقاً فـ"ثُمَّ" للترتيب الرتبي لا غير والظاهر هو "الثاني".

ونتوقف عند قوله عز وجل: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ۞ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾[الأنعام:١٥٤]. يقول صاحب "التحرير والتنوير": ("ثُمَّ": هنا عاطفة على جملة "قل تعالوا" فليست عاطفة للمفردات، فلا يتوهم أنها لتراخي الزمان بل تنسلخ عنه حين تعطف الجمل فتدل على التراخي في الرتبة وهي مهلة مجازية، وتلك دلالة "ثُمَّ" إذا عطفت الجمل).

وتعددت آراء المفسرين في محمل "ثُمَّ" -هنا- إلى آراء، للفراء والزجاج والزمخشري وغيرهم، كل يروم التخلص من هذا الضيق.

والوجه عندي أن "ثُمَّ" ما فارقت المعروف من إفادة التراخي الرتبي فعمق الكلام: وفوق ذلك فهذا كتاب أنزلناه مبارك جمع فيه ما أوتيه "موسى" -عليه السلام- و(هو أعظم ما أوتيه الأنبياء من قبله)، وما في القرآن: الذي هو مصدق لما بين يديه ومهيمن عليه[1].

أما قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُون ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[البقرة:٥٦]

. فإن جملة "ثم بعثناكم"؛ إيجاز بديع.

أي: فمنكم من الصاعقة "ثم بعثناكم من بعد موتكم" وقد احتفظت "ثُمَّ" بدلالتها على انتهاء الغاية، والترتيب الزماني والرتبي[2].

وقال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ

---

(١) التحرير والتنوير ٨: ١٧٥.

(٢) المصدر السابق ١: ٥٠٨.

حَيْثُ أَفَاضَ النَّـاسُ﴾[البقرة:١٩٩]: (الذي عليه جمهور المفسرين أن "ثُمَّ" للتراخي الإخباري للترقي في الخبر، وأن الإفاضة المأمور بها هنا هي عين الإفاضة المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾[البقرة:١٩٨]. وأن العطف بـ"ثُمَّ" للعودة إلى الكلام على تلك الإفاضة[١].

ونقرأ أيضاً قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[آل عمران:٢٣].

("ثُمَّ": عاطفة جملة "يتولى فريق منهم" على جملة "يدعون". فالمعطوف هنا في حكم المفرد، فدلت "حتّى" على أن توليهم مستمر في أزمان كثيرة تبعد عن زمان الدعوة).

أي: أنهم لا يدعون، فهم يقولون ثُمَّ يتولون...

فدخول "حتى" للدلالة على التراخي الرتبي لأنهم قد يتولون إثر الدعوة ولكن أريد التعجب[٢] ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾[آل عمران:٥٥].

"ثُمَّ": للتراخي الرتبي، لأن الجزاء الحاصل عند مرجع الناس إلى يوم القيامة أعظم درجة وأهم من جعل متتبعي "عيسى" فوق الذين كفروا في الدنيا[٣].

كذلك قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩]. فإن "ثُمَّ" للتراخي الرتبي، وإن تكوينه بأمر "كن" أرفع رتبة من خلقه من تراب وهو أسبق في الوجود.

---

(١) المصدر السابق ٢: ٢٤٢.

(٢) التحرير والتنوير ١٣: ٢١٠.

(٣) المصدر السابق ١٣: ٢٦٠.

٢١- "حتّى"

قال "ابن هشام": (حتى: حرف يأتي لأحد ثلاثة معانٍ،

١- انتهاء الغاية -وهو الغالب-.

٢- التعليل.

٣- بمعنى "إلاّ" في الاستثناء وهذا أقلها.

وتستعمل على ثلاثة أوجه؛

أحدهما: أن تكون حرفاً جاراً بمنزلة "إلى" في المعنى والعمل.

الثاني: أن تكون عاطفة بمنزلة "الواو" وبينهما فرق.

الثالث: أن تكون حرف ابتداء، أي: حرفاً تبتدأ بعده الجمل أي: تستأنف، ولا محل للجملة الواقعة بعد "حتى" الابتدائية خلافاً لبعض النحاة.

وقد نبه صاحب "التحرير والتنوير" إلى بعض الإشارات اللغوية في سياق القول الكريم المتضمن لفظ "حتى"، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[الأنعام:٢٥].

(أي: أن ما بعد "حتى" غاية لما قبلها نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾[غافر:٣٤].

فإن "حتى" للغاية وغايتها هو مضمون الجملة بعدها وهي جملة "إذا هلك". "إذا هنا اسم الزمان الماضي مجرور بـ"حتى" وليست بظرف أي: (حتى زمن هلاك)[1].

وأصل "حتى" أن يكون حرف الجر مثل "إلى" فيقع بعد اسم مفرد مدلوله غاية لما قبل "حتى" وقد يعدل عن ذلك، ويقع بعد "وحتى" جملة فتكون وحتى ابتدائية، أي: تؤذن بابتداء كلام مضمونه غاية لكلام قيل "....."[2]. ولذلك قال ابن الحاجب في "الكافية": (أنها "تفيد السببية")[3].

وسميت "حتى" ابتدائية، لأن ما بعدها في حكم كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾[الأحقاف:١٥].

قال الطاهر بن عاشور: ("حتى" ابتدائية، ومعناها معنى "فاء" التفريع على الإنسان المتقدم، وإن كان "حتى" لا يفارقها معنى الغاية. كانت مؤذنة هنا بأن الإنسان تدرج في أطواره من وقت فصاله إلى أن بلغ أشده)[4].

ولما كان "إذا" ظرفاً لزمن المستقبل كان الفعل الماضي بعدها منقلباً إلى المستقبل، وإنما صيغ بصيغة الماضي تشبيهاً للمؤكد تحصيله بالوقوع.

ومثله قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾[غافر:٣٤].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ("حتى" هنا ابتدائية، وكلما دخلت "حتى" في جملة مفتتحة بـ"إذا" و"حتى" للابتداء وما بعدها جملة "ابتدائية").

---

(١) التحرير والتنوير ٢٤: ١٣٨.

(٢) المصدر السابق ٨: ١٨١.

(٣) الرضي – شرح الكافية ٤: ٥٩.

(٤) التحرير والتنوير ٢٦: ٣١.

وذهب "الأخفش" وابن مالك إلى أن "حتى" في مثله "جارّة" وأن "إذا" في محل جر وليس ببعيد.

وأعلم أن "حتى" لا يفارقها معنى الغاية كيفما كان عمل "حتى" و"إذا" اسم زمان للمستقبل متضمن معنى الشرط وهو في محل نصب بالفعل الذي في جواب وهو "فسيعلموه".

وعلى رأي "الأخفش" و"ابن مالك" "إذا" في محل جر بـ"حتى". واقتران الجواب بـ"سين" الاستقبال يصرف الفعل الماضي حتى بعد (إذا) إلى زمن الاستقبال، وجيء بالجملة المضاف إليها "إذا" فعلاً ماضياً للتنبيه على تحقيق وقوعه[1].

وقد تأتي "حتى" ابتدائية تفيد التعليل، كما في قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون:٧]. فإن ("حتى" مستعملة في التعليل بطريقة المجاز المرسل لأن معنى "حتى" انتهاء الفعل المذكور قبلها ينتهي الفاعل عن الفعل إذا بلغها فهي سبب للانتهاء وعله له فليس المراد (فإذا نقضوا فأنفقوا عليهم)[2].

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾[محمد:٣١].

حتى: حرف انتهاء فما بعدها غاية للفعل الذي قبلها وهي هنا مستعملة لمعنى التعليل[3].

---

(١) المصدر السابق ٢٩: ٢٤٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٨: ٢٤٧.

(٣) المصدر السابق ٢٦: ١٢٣.

٢٢- "ذو - ذات"

حديث "أهل النحو"[١] في "ذو" و"ذات" موجز إذ يقولون: (إن "ذو" من الأسماء الخمسة التي تعرب بالحروف فإنها ترفع بـ"الواو" وتنصب بـ"الألف" وتخفض بـ"الياء"، وهذا معنى قول "ابن مالك" (إن صحبه أبانا) أي: أظهر.

وأصلها "الإضافة" فإن أفردتها أخرجتها إلى باب الأسماء ولأن الإضافة لازمة له، منعته عن التنوين، ولا يضاف "ذو" إلى ضمير[٢].

وقد نبه الطاهر بن عاشور إلى بعض الإشارات اللغوية والدقائق الدلالية في أسلوب السياق القرآني الذي تضمن لفظة "ذو" أو "ذات". كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾[البقرة:٢٨٠]. في الآية حجة على أن "ذو" تضاف لغير ما يفيد شيئاً شريفاً[٣].

أما قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾[آل عمران:٤]. فقد (جيء في هذا الوصف بكلمة "ذو" الدالة على الملك للإشارة إلى أنه انتقام من اختيار لإقامة مصالح العباد وليس هو تعالى مندفعاً للانتقام لدافع الطبع أو الحنق[٤].

ومثله قوله عز من قائل: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾[المائدة:٩٥].

---

(١) يُنظر: المقتضب ٣: ١٢٠.

(٢) أوضح المسالك ١: ٣٢، شرح الأسموني ١: ٢٨.

(٣) التحرير والتنوير ٣: ٩٥.

(٤) المصدر السابق ٣: ١٥١.

قال صاحب "التحرير والتنوير": (عدل أن يوصف بوصف الرحيم إلى وصفه بأنه "ذو الرحمة" لأن الغني وصف ذاتي لله لا ينتفع الخلائق إلا للوازم ذلك الوصف وهو جوده عليهم لا ينقص شيئاً من غناه، بخلاف صفة الرحمة فإن تعلقها ينفع الخلائق فأوثرت بكلمة "ذو"؛ لأن "ذو": كلمة يتوصل بها إلى الوصف بالأجناس، ومعناها "صاحب" وهي تشعر بقوة أو وفرة ما تضاف إليه فلا يقال "ذو إتصاف" إلا لمن كان قوي الإتصاف.

ولا يقال "ذو مال" لمن عنده مال قليل. والمقصود من الوصف بـ"ذي الرحمة" هنا تمهيد لمعنى الإمهال الذي في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[النساء:١٣٣]. أي: فلا يقولن أحد لماذا لم يذهب هؤلاء المكذبين أي: أنه لرحمته أمهلهم إعذاراً لهم[١].

ومثله قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[الأنعام:١٤٧]. كذلك قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[الكهف:٥٨].

فإن وصف "ذو الرحمة" يساوي وصف "الرحيم" لأن "ذو" تقتضي رسوخ النسبة بين موصوفها وما تضاف إليه. وإنما عدل عن وصف "الرحيم" إلى "ذو الرحمة" للتنبيه على أنه خبر لا نعت، تنبيهاً بطريقة تغيير الأسلوب؛ فإن اسم "الرحيم" صادر شبيهاً بالأسماء الجامدة لأنه صبغ بصيغة الصفة المشبهة فبعد عن ملاحظة الاشتقاق فيه، واقترب من وصف الصفة الذاتية[٢].

أما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾[النمل:٧٣]. قال صاحب "التحرير والتنوير": (التعبير بـ"ذو الفضل" يدل على أن الفضل من شؤونه وتنكير "فضل" للتعظيم، أي (لأن نعم الله تعالى عظيمة جليلة، ولذلك قال تعالى في سورة

---

(١) التحرير والتنوير ٨: ٨٥-٨٦.

(٢) المصدر السابق ١٥: ٣٥٧.

"غافر": ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾[غافر:٦١]. ولم يقل "لمتفضل" ولا "لمفضل"، فعدل إلى إضافة "ذو" إلى "فضل" لتأتي التنكير المشعر بالتعظيم[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[القصص:٧٩].

(أي: إنه لذو بخت وسعادة، وأصل "الحظ": القسم الذي يعطاه المقسوم له عند العطاء، وأريد به هنا ما قسم له من نعيم الدنيا). والتوكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[القصص:٧٩] كناية عن التعجب حتى كأن السامع ينكر حظه فيؤكده المتكلم[٢].

قال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله عز وجل ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت:٣٥] : (أفاد "ذو حظ عظيم"؛ أن الحظ العظيم من الخير سجيته وملكته، كما اقتضته "ذو"، كما وصف "فرعون" في سورة "ص" بأنه "ذو الأوتاد" لعظمة ملكه وقوته فلم يكن ذلك ليحول بينه وبين عذاب الله)[٣].

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾[فصلت:٤٣]. فإن كلمة "ذو" المضافة (مؤذنة بأن المغفرة والعقاب كليهما من شأنه تعالى وهو يضعها بحكمته في المواضع المستحقة لكل منهما)[٤].

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[فصلت:٥١]. و(الدعاء: الدعاء لله يكشف الشر عنه، ووصفه بالعريض استعارة لأن "العرض" -بفتح العين- ضد الطول، والشيء العريض هو المتسع مساحة العرض، فشبه الدعاء

---

(١) المصدر نفسه ٢٤: ١٨٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠: ١٨٣.

(٣) المصدر السابق ٢٣: ٢٢١.

(٤) المصدر السابق ٢٤: ٣١١.

المتكرر الملَحُّ فيه بالثوب أو المكان العريض، وعدل عن أن يقال "فداع" إلى "ذو دعاء" لما تشعر به كلمة "ذو" من ملازمة الدعاء له وتملكه منه)[1].

أما "ذات" فمن مواضعها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[الأنفال:١].

وذكر الطاهر بن عاشور أنَّ ("ذات": يجوز أن تكون مؤنث "ذو" الذي هو بمعنى "صاحب"، فتكون "الفها" من "الواو" ووقع في كلامهم مضافاً إلى الجهات وإلى الأزمان وإلى غيرهما، ويجرونه مجرى الصفة لموصوف يدل عليه السياق كقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾[الكهف:١٨].

على تأويل جهة، وتقول (لقيته ذات ليلة) و(ألقيته ذات الصباح) على تأويل المقدّر، ساعة أو وقت، وجرى مجرى المثل في ملازمتها هذا الاستعمال ويجوز أن تكون "ذات" أصلية "الألف" كما يقال: أنا أعرف ذات فلان فالمعنى: حقيقة الشيء وماهيته، للتأكيد مثل المعنى في قولهم "جاءني بذاته" ومنه يقولون (ذات اليمين وذات الشمال) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[هود:٥].

فمعنى القول الكريم: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[الأنفال:١]، و"ذات" مفعول به على أن "بين" في الأصل؛ ظرف، فخرج عن الظرفية لإضافتها إلى ظرف مكان، والتقدير: وأوجدوا الصلاح بينكم.

وأعلم أني لم أقف على استعمال "ذات البين" في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن[2].

وقال عز وجل في سورة "الأنفال": ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[الأنفال:٧]. قال صاحب "التحرير والتنوير": (الود: المحبة، و"ذات الشوكة":

---

(١) المصدر السابق ٢٥: ١٥.

(٢) التحرير والتنوير ٩: ٢٥٣.

صاحبة الشوكة. ووقع "ذات" صفة لمقدر تقديره: الطائفة غير ذات الشوكة، أي: الطائفة التي لا تستطيع القتال... وشاع استعمال الشوكة بمعنى البأس، يقال: فلان ذو شوكة أو: ذو بأس يتقى)[1].

وقال تعالى في سورة "الأنفال" نفسها: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[الأنفال:٤٣]. و(معنى "ذات الصدور": الأحوال المصاحبة لضمائر النفوس، فالصدور أطلقت على ما حل فيها من النوايا والمضمرات، فكلمة "ذات" بمعنى "صاحبة" وهي مؤنثة "ذو" أحد الأسماء الخمسة -وقد ذكرنا- أن أصل "الفها"؛ "الواو" ووزنها "ذوت" انقلبت "واوها" "الفاً" لتحركها وانفتاح ما قبلها.

ونقل "الطاهر بن عاشور عن الزمخشري" رأيه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[الأنفال:٤٣].(ذات: تأنيث "ذو" و"ذو" موضوع لمعنى الصحبة... فذات الصدور؛ النوايا والخاطر وما يهتم به المرء وما يدبره ويكيده)[2].

ومثله قوله عز وجل في سورة "هود": ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[هود:٥]. فإن كلمة "ذات" مؤنث "ذو" يتوصل إلى الوصف بأسماء الأجناس[3].

وقال تعالى في سورة "الزمر": ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[الزُّمَر:٧]. وقد أكد صاحب "التحرير والتنوير" إشارته إلى أن "ذات" بمعنى صاحبة، مؤنث "ذو" بمعنى "صاحب"، صفة لمحذوف تقديره "الأعمال" أي: بالأعمال صاحبة الصدور، أي: المستقرة في النوايا، فعبّر بـ"الصدور" عما يحل بها والصدور مراد بها القلوب المعبّر بها عما به الإدراك والعموم[4].

---

(١) المصدر السابق ٩: ٢٧٠.

(٢) التحرير والتنوير ١٠: ٢٥.

(٣) المصدر السابق ١١: ٣٢٣.

(٤) المصدر نفسه ٢٤: ٣١١.

ونقرأ قوله عز وجل: ﴿تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾[الكهف:١٧]. ويبدو أن هذا التركيب المؤلف من "ذا" المضاف إلى موصوفها قد شاع استعمالها في السياق الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾[الحج:٢]. قال صاحب "التحرير والتنوير": (التعبير بـ"ذات حمل" دون التعبير بـ"حامل" لأنه الجاري في الاستعمال في الأكثر، فلا يقال "امرأة حامل") بل يقال (ذات حمل).

قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[الطلاق:٤]. مع ما في هذه الإضافة من التنبيه على شدة اتصال الحمل بالحامل فيدل على أن وضعها إياه لسبب مفظع[١].

ومثله أيضاً قوله عز وجل: ﴿إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[المؤمنون:٥٠]. فـ(القرار: المكان في المكان، أي هي صالحة لأن تكون قراراً فأضيفت "الربوة" إلى المعنى الحاصل فيها لأدنى ملابسة وذلك بما اشتملت عليه من التخيل المثمر)[٢].

كذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[النمل:٦٠]. "البهجة": حسن المنظر لأن الناظر يبتهج به[٣].

ونقرأ أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[القمر:١٣]. فإن "ذات ألواح ودسر" صفة للسفينة، أقيمت مقام الموصوف هنا عوضاً عن أن يقال: (وحملناه على الفلك)؛ لأن في هذه الصفة بيان متانة هذه السفينة وإحكام صنعها[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ١٧: ١٩١.

(٢) المصدر السابق ١٨: ٦٧.

(٣) المصدر نفسه ٢٠: ١١.

(٤) المصدر نفسه ٢٧: ١٨٤.

أما قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[الرحمن:٤٨] فإن "ذواتا" تثنية "ذات" و"الواو" أصلية، لأن أصل "ذات" ذوة و"الألف" التي بعد "الواو" إشباع للفتحة لازم للكلمة.

وقيل "الألف" أصلية وإن أصل "ذات" ذوات" فخففت في الإفراد وردتها التثنية إلى أصلها، وأما "الألف" التي بعد "التاء" المثناة الفوقية فهي علامة رفع نائبة عن الضمة[1].

ونتوقف عند قوله تعالى: ﴿بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾[سبا:١٦]. قال صاحب "التحرير والتنوير": (معنى "ذواتي أكل" صاحبتي أكل، فـ"ذوات" جمع "ذات" التي بمعنى "صاحبة"، وهي مؤنث "ذو" بمعنى "صاحب" وأصل "ذات"؛ (ذواه) بـ"هاء" التأنيث مثل "نواة، وزنها "فَعَلة" بفتحتين و"لامها"؛ (واو)، قال "الجوهري": أصل "التاء" في "ذات" "هاء" مثل "نواة" لأنك إذا وقفت عليها في الواحد قلت: "ذاه" - بالهاء- لأن "الألف" هي مدة "الفتحة" فكان النطق بـ"الهاء" بعدهما ثقيلاً في حال الوقف ثم لما ثنوها ردوها إلى أصلها لأن التثنية ترد الأشياء إلى أصولها فقالوا: (ذواتا كذا) وتحذف "النون" للزوم إضافية وأصله (ذوتان)[2].

وأصل "ذوات" فعلات، وهو سما الحق بجمع المؤنث السالم لأن تاءه في المفرد أصلها "هاء" وأما "تاؤه" في الجمع فهي "تاء" صارت عوضاً عن الهاء التي في المفرد على سُنة الجمع بـ"ألف وتاء".

---

(١) المصدر نفسه ٢٥: ١٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٢: ١٧٢-١٧٣.

٢٣- "السين" و"سوف"

أولاً: (السين)

قال أهل اللغة[١] "السين" و"سوف" حرفان يختصان بالفعل المضارع ويخلصانه للاستقبال، وليس "السين" منقطعاً من "سوف" خلافاً للكوفيين، وليس مدة الاستقبال مع "السين" أضيق منها مع "سوف" خلافاً للبصريين.

وقد سمى بعض المعربين "سوف" حرف تنفيس، أي: حرف توسيع، وذلك أنها تقلب المضارع من الزمن الضيق -وهو الحال- إلى الزمن الواسع وهو "الاستقبال". وتنفرد "سوف" عن "السين" بدخول "اللام" عليها، وبأنها قد تفصل بالمعنى المُلغى.

ذكر الزمخشري أن "السين" إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة، ووجهه أنها تفيد الوعد بحصول الفعل فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه. وقال ابن يعيش في شرح "المفصل": (سوف) أشد تراخياً في الاستقبال من "السين" وأبلغ تنفيساً.

ورأى الكوفيين أن (تختلف دلالتها فـ"سوف" أكثر تنفيساً من "السين" يقال: سوفته، إذا أطلت الميعاد، كأنك اشتققت من لفظ "سوف" فعلاً)[٢].

---

(١) مغني اللبيب ١: ٢٣٢-٢٣٣، الجني الداني ٥٩: ٤٥٩.

(٢) شرح المفصل ٩: ١٤٨.

ولكي نتلمس الفروق اللغوية التي تميزت بها "السين" و"سوف" والإشارات البليغة التي اختصت بها كل أداة عن غيرها، لا بد من رصد الإشارات التي نبه عليها صاحب "التحرير والتنوير" في تفسيره المواضع التي وردت فيها؛ "السين" ومنها قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[البقرة:١٣٧].

قال الزمخشري: (ومعنى "السين" في قوله تعالى "فسيكفيهم" أن ذلك كائن لا محالة، وإن تأخر إلى حين)[١].

وقال الزمخشري أيضاً في تفسير قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾[التوبة:٧١]. (السين: مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد كما يؤكد الوعيد في قولك (سأنتقم منك يوماً) تغني لا تفوتني وإن تباطأ ذلك).

وقد آثر الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" هذا الرأي بعد أن فصل المقصود، وذلك في تفسير قوله عز وجل "فسيكفيهم الله" فذكر أن ("السين" حرف يمحض المضارع للاستقبال، فهو مختص بالدخول على المضارع، وهو كحرف "سوف"، والأصح أنه لا فرق بينهما في سوى زمان الاستقبال، وقيل: إن "سوف" أوسع مدى، واشتهر هذا عند الجماهير فصاروا يقولون: "سوّفه" إذا ما طال الوفاء بالآخر، وأحسب أنه لا محيص من التفرقة بين "السين" و"سوف" في الاستقبال ليكون لموقع أحدهما دون الآخر في الكلام البليغ خصوصية، ثم إن كليهما إذا جاء في سياق الوعد فأفاد تحقيق الوعد)[٢].

قال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾[التوبة:٧١]: "السين" في "سيرحمهم"؛ لتأكد حصول الرحمة في

---

(١) الكشاف ١: ١٩٤-١٩٥.

(٢) التحرير والتنوير ١: ٧٤١.

المستقبل[1]. فحرف الاستقبال يفيد مع المضارع ما تفيد "قد" مع الماضي كقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[الضحى:٥].

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾[القلم:٥].

أما قوله عز وجل: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾[القلم:٥]. فإن ("السين" في قوله تعالى "فستبصر"؛ للتأكيد)[2]. وقال تعالى في سورة "القلم" -أيضاً- ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾[القلم:٤٤]. قال صاحب "التحرير والتنوير": (فكأنه قال سنأخذهم بأعمالهم فلا تستبطئ الانتقام فإنه محقق وقوعه ولكن يؤخر لحكمة تقتضي تأخيره)[3].

وقد أوجز "الطاهر بن عاشور" تلك الخصوصية اللغوية لـ"السين" في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى﴾[الأعلى:٦]. فـ"السين" علامة على استقبال مدخولها، وهي تفيد تأكيد حصول الفعل وخاصة إذا اقترنت بفعل حاصل في وقت التكلم، فإنها تقتضي أنه مستمر ويتجدد وذلك تأكيد لحصوله، وإذ قد كان قوله عز وجل: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى﴾[الأعلى:٦]. إقراء، فالسين دالة على أن الإقراء يستمر ويتجدد.

أما قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ﴾[البقرة:١٤٢]. فـ(الأولى؛ كما يقول صاحب "التحرير والتنوير" بقاء "السين" على معنى الاستقبال إذ لا داعي إلى الإخبار به قبل وقوعه منهم...)[4].

ويبدو أن هذا الرأي قد سبقه إليه "الزمخشري" إذ قال في تفسيره "الكشاف": (فإن قلت: أي فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه؟ قلت: فائدته أن مفاجأة المكروه أشد، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب، إذا وقع لما يتقدمه

---

(١) المصدر السابق ١٠: ٢٦٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩: ٦٥.

(٣) المصدر السابق ٢٩: ١٠١.

(٤) المصدر نفسه ٢: ٧.

من توطين النفس وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أفظع للخصم وأرد لشعبه...)[1].

وذكر ابن عطية عن "ابن عباس" -رضي الله عنهما- أنه (وضع المستقبل موضع الماضي ليدل على استمرارهم فيه...).

واختيار "الطاهر بن عاشور" كون "السين" تقع للإخبار عن أقوالهم المستقبلية ليس قليل في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾[الإسراء:٥١]. ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ﴾[الإسراء:٥١].

ثانياً: (سوف)

اختار الطاهر بن عاشور رأي جمهور النحاة القائل: (إن "سوف" أخت "السين" في إفادة مطلق الاستقبال)[2].

فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾[الأنعام:١٣٥]. إن (سوف: حرف تنفيس مراد فيه تأكيد الوقوع، لأن حرفي التنفيس يؤكدان المستقبل كما تؤكد "قد" الماضي)[3].

ولذلك قال سيبويه في الكلام على "لن" (أنها لنفي "سيفعل")[4]. وأخذ منه الزمخشري (إفادتها تأكيد النفي..).

وقال في تفسير قوله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾[النساء:٣٠]. (سوف: حرف يدخل على المضارع فيمحضه للزمن المستقبل وهو مرادف "السين" على الأرجح).

---

(١) المصدر نفسه ١: ١٩٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣: ١٩٤.

(٣) المصدر السابق ٨: ٩١.

(٤) الكتاب ٤: ٢٢١.

وقال بعض النحاة: (سوف يدل على مستقبل بعيد وسماه (التسويف) وليس في الاستعمال ما يشهد لهذا...)[1].

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾[الانشقاق:١١]. ذكر "الطاهر بن عاشور" (أن حرف "سوف" أصله لحصول الفعل في المستقبل والأكثر أن يراد به المستقبل البعيد وذلك هو الشائع، ويقصد به في الاستعمال البليغ حصول الفعل واستمراره)[2]، ومنه قول عز وجل: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾[يوسف:٩٨].

فإن "سوف" هنا مفيد للتحقق والاستمرار بالنسبة إلى الفعل القابل للاستمرار وهو ينقلب إلى أهله مسروراً وهو المقصود من هذا الوعد.

ونتوقف عند قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[الضحى:٥]. قال الطاهر بن عاشور[3]: (حرف الاستقبال "سوف" لإفادة أن هذا العطاء الموعود به مستمر لا ينقطع، كما تقدم في قوله عز وجل: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾[يوسف:٩٨]. وإنما وعدهم بالاستغفار في المستقبل، إذ قال "سوف" أستغفر لكم ربي للدلالة على أنه يلازم الاستغفار لهم في أزمنة المستقبل...)[4].

ومثله في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾[مريم:٤٧]. فإن (علامة الاستقبال والفعل المضارع مؤذنان بأنه يكرر الاستغفار في المستقبل)[5].

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾[النساء:١٥٢]. كذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[الليل:٢١].

---

(١) التحرير والتنوير ٤: ٢٥.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠: ٢٢٣.

(٣) المصدر السابق ٣٠: ٣٩٨.

(٤) المصدر السابق ١٣: ٥٤.

(٥) المصدر السابق ١٦: ١٢١.

فإن (سوف: حرف لتحقيق الوعد في المستقبل. أي: يتغلغل رضاه في أزمنة المستقبل المديد، و"اللام" لام الابتداء لتأكيد أكثر)[1]. ومعنى ذلك أن "السين" و"سوف" عند "الطاهر بن عاشور" يشتركان في الدخول على الفعل المضارع للدلالة على الزمن المستقبل الذي يحدد السياق زمن قربه أو بعده عن المستقبل، ويشتركان أيضاً في توكيد وقوع الفعل مستقبلاً وإن كان الأغلب في الجملة المقترنة بـ"السين".

---

(١) المصدر السابق ٣٠: ٣٩٢.

٢٤- "قد"

قال أهل اللغة[١]: "قد" تكون اسماً إذا كانت في موضع "حَسْب" نحو قولك "كأن قد".

وتختص "قد" بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس، وهي معه كالجزاء، فلا تفصل منه بشيء اللهم إلا بالقسم، ولها عدة معانٍ، أحدهما "التوقع" وذلك مع المضارع واضح، وأما مع الماضي فقد انتبه الأكثرون. والثاني: تقريب الماضي من الحالة، والثالث: التقليل، الرابع: التكثير، قاله سيبويه، الخامس: التحقيق.

وقد ذكر سيبويه[٢] في "الكتاب" أو "قد" جواب لقوله "لما يفعل" فتقول (قد فعل).. وزعم الخليل أن هذا الكلام لقومٍ ينتظرون الخبر، وتكون "قد" بمنزلة "ربما".

وأشار صاحب "المقتضب"[٣] إلى أن لـ"قد" موضعين من الكلام.

أحدهما: أن تكون لقومٍ يتوقعون الخبر، نحو قولك: هل جاءك؟ فيقول لك: "قد جاء" وتقول: "لمّا يأت، فتقول لك: قد أتى".

الثاني: تكون في موضع "ربما": (قد أترك) و(قد أقود).

---

(١) مغني اللبيب ١: ٢٩٣.

(٢) الكتاب ٢: ٣٠٧.

(٣) المقتضب ١: ٤٢-٤٣، يُنظر أيضاً الخصائص ٢: ٣٦١.

قال "ابن يعيش" في شرح "المفصل"[1]: "قد" تستعمل للتقليل مع المضارع فهي لتقليل المضارع وتقريب الماضي، فهي تجري مع المضارع مجرى "ربّما" تقول: (قد يصدق الكذوب)، (قد تعثر الجواد)، تريد أن ذلك قد يكون منه على قلة وندرة، كما تقول (ربما صدق الكذوب) و(عثر الجواد)...

وذلك لما بين "التقليل" و"التقريب" من المناسبة، أن كل تقريب تقليل لأنه رأي فيه تقليل المسافة.

ويبدو أن "الطاهر بن عاشور" قد اتفق مع رأي أهل اللغة فيذكر أن ("قد" تحقيق الخبر الفعلي، فهي في تحقيق الجملة الفعلية بمنزلة "إن" في تحقيق الجملة الاسمية، فحرف "قد" مختص بالدخول على الأفعال المتصرفة الخبرية المثبتة المجردة من ناصب وجازم وحرف تنفيس ومعنى التحقيق ملازم له، والأصح أنه كذلك سواء كان مدخولها ماضياً أو مضارعاً، ولا يختلف معنى "قد" بالنسبة للفعلين)[2].

قد + المضارع:

شاع عند كثير من النحويين أن "قد" إذا دخل على المضارع أفاد تقليل حصول الفعل وقال بعضهم، إنه مأخوذ من كلام سيبويه ومن ظاهر كلام "الكشاف" في هذه الآية: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ﴾[الأنعام:٣٣].

قال الزمخشري[3]: ("قد نعلم" بمعنى "ربما" الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته والتحقيق؛ أن كلام سيبويه "لا يدل إلا على أن "قد" تستعمل في الدلالة على التقليل

---

(١) شرح المفصل ٩: ١٤٧.

(٢) التحرير والتنوير ٨: ١٩٦.

(٣) المصدر السابق ٧: ١٥.

لكن بالقرينة، وليست بدلالة أصلية". وهذا هو الذي استخلصته من الكلام وهو المعول عليه عندي).

ولذلك فلا فرق بين دخول "قد" على فعل الماضي، ودخوله على الفعل المضارع في إفادة تحقيق الحصول، كما صرح الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾[النور:٦٤].

قال صاحب "الكشاف": (أدخل "قد" ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد.

وذلك أن "قد" إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى "ربّما" فوافقت "ربّما" في خروجها إلى معنى التكثير)[1].

وقال الطاهر بن عاشور: (التحقيق يعتبر في الزمن الماضي إن كان الفعل الذي بعد "قد" فعل ماضي في زمن الحال أو الاستقبال مثل تقريب زمن الماضي من الحال "قد قامت الصلاة". ومثله قوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾[الصف:٥].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (الإتيان بعد "قد" بالمضارع هنا للدلالة على أن علمهم بذلك مجدد، ويتجدد الآيات والوحي، وذلك إحدى بدوام امتثاله، لأنه لو جيء بفعل الماضي لما دلّ عليه أكثر من حصول ذلك العلم فيما مضى ولعله قد طرأ عليه ما يبطله)[2]..

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾[الأحزاب:١٨].

فإن (دخول "قد" على المضارع لا يخرجها من معنى "التحقيق" عند المحققين من أهل العربية وأن ما توهموه من التقليل إنما دلّ عليه المقام في بعض المواضع لا

---

(١) الكشاف ٣: ٢٥٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢٨: ١٧٨.

من دلالة "قد"، ومثله في إفادة التكثير).

فأنت ترى أن في كلام "الطاهر بن عاشور" تنبيهاً إلى مسألة لغوية تتعلق بدراسة "قد" الدلالة على الفعل المضارع؛ على معنى "التحقق" أو التوكيد، أما دلالة "التقليل" فهي من دلالات "المقام" ويغلب أن تكون للتكثير ويؤكد "الطاهر بن عاشور" هذه اللطيفة اللغوية في أكثر من موضع في تفسير الشواهد القرآنية الكريمة التي يقع في تركيبها "قد" الداخلة على الفعل المضارع، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾[البقرة:١٤٤].

قال صاحب "الكشاف": ("قد نرى": ربما نرى، ومعناه كثرة الرؤيا)[١].

وقال الطاهر بن عاشور: (إن المضارع جاء مع "قد" للدلالة على التجدد والمقصود تجدد لازمه ليكون تأكيداً لذلك اللازم وهو الوعد، فمن أجل ذلك غلب على "قد" الداخلة على المضارع أن تكون للتكثير مثل "ربما")[٢]. ومثله قوله عز وجل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾[النور:٦٣].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (دخول "قد" على المضارع يأتي للتكثير كثيراً لأنه "قد" فيه بمنزلة "ربّما" تستعمل في التكثير).

قد + الماضي:

قال الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾[المجادلة:١]. (قد: أصله حرف تحقيق للخبر، فهو من حروف توكيد الخبر)[٣].

---

(١) الكشاف ١: ٢٠٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢: ٢٧.

(٣) التحرير والتنوير ٢٨: ٨.

ولكن الخطاب هنا للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو لا يخامره تردد في أن الله يعلم ما قالته المرأة التي جادلت في زوجها، فتعين أن حرف "قد" هنا مستعمل في "التوقع" أي: الإشعار بحصول ما يتوقعه السامع.

قال الزمخشري[1]: لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمجادلة يتوقعان أن يسمع الله لمجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يخرج عنها.

ومعنى التوقع الذي يؤذن به حرف "قد" في مثل يؤول إلى تنزيل الذي يتوقع حصول أمرٍ لشدة استشرافه له منزلة المتردد الطالب بتحقيق الخبر من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لنكته، كما قالوا في تأكيد الخبر بـ"ال" في قوله تعالى.

ولهذا جزم "الرضى"[2] في شرح "الكافية" بأن "قد": (لا بد فيها من معنى التحقيق، ثم يضاف إليه في بعض المواضع معانٍ أخرى في الماضي: التقريب من الحال من المتوقع، أي: يكون مصدر متوقعاً لمن تخاطبه واقعاً عن قريب، كما يقول لمن يتوقع ركوب الأمير (قد ركب) أي: حصل عن قريب ما كنت تتوقعه من قول المؤذن: (قد قامت الصلاة) ففيه إذن: ثلاثة معانٍ مجتمعة (التحقيق، التوقع، التقريب) وقد يكون مع التحقيق، التقريب فقط، ويجوز أن تقول (قد ركب) لمن لم يكن يتوقع ركوبه[3].

قال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]. (افتتاح بديع لأنه من جوامع الكلم، فإن الفلاح غاية كل ساع إلى عمله، فالإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب فكأنه قيل: قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه...

---

(١) الكشاف ٤: ٤٧٣.

(٢) شرح الرضى ٤: ٤٤٤-٤٤٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٨: ٨.

وأكد هذا الخبر بحرف "قد" الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق أي: التوكيد، فحرف "قد" في الجملة الفعلية يفيد مفاد "إنّ" و"اللام" في الجملة الاسمية، أي: يفيد توكيداً قوياً.

ونتوقف عند قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾[الأعلى:١٤]. قال صاحب "التحرير والتنوير": (الإتيان بفعل الماضي في قوله "أفلح" للتنبيه على المحقق وقوعه في الآخرة، واقترانه بحرف "قد" لتحقيقه وتثبيته كما في قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]. وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[الشمس:٩].

لأن الكلام موجه إلى الأشقين الذين تجنبوا الذكرى إثارة لهمتهم في الالتحاق بالذين حنثوا فأفلحوا...[١].

---

(١) المصدر السابق ٣٠: ٢٨٧.

٢٥ ـ "كلا"

قال كثير من النحاة إن "كاد" حرف معناه: الردع والزجر[١]، هذا مذهب الخليل وسيبويه والزجاج، وأكثر البصريين، ولا معنى لها عندهم إلا ذلك، حتى أنهم يجيزون أبداً الوقوف عليها، والابتداء بما بعدها.

وذهب الكسائي وبعض اللغويين إلى أن معنى: الردع والزجر ليس مستمراً فيها فزادوا فيها معنى ثانياً يصح عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال:

أحدها: للكسائي ومتابعيه، قالوا: تكون بمعنى "حقاً".

الثاني: لأبي حاتم ومتابعيه، قالوا: تكون بمعنى "ألا" الاستفتاحية.

الثالث: للفراء ومن وافقه، قالوا: تكون حرف جواب بمنزلة "إي" و"نعم"[٢].

وركب ابن مالك[٣] هذه المذاهب الثلاثة فجعلها مذهباً واحداً، قال في "التسهيل": (كلا: حرف ردع وزجر، وقد تؤول بـ"حقاً" وتساوي "إي" معنى واستعمالاً وذهب عبد الله بن محمد الباهلي إلى أنها تكون على وجهين:

أحدهما: أن تكون ردّ الكلام قبلها، يتجوز الوقف عليها وما بعد استئناف.

---

(١) الجني الداني ٥٧٧.

(٢) مغني اللبيب ١: ٣٢٠.

(٣) التسهيل ٢٤٥.

الآخر: أن تكون صلة للكلام فتكون بمعنى "إي". وقيل إني "كلاّ" بمعنى "سوف")[1].

وقال الرضي في شرح "الكافية"[2]: (الردع بمعنى الزجر، قد يكون "كلا" من كلام المتكلم بما قبلها وذلك إذا أخبر عن غيره بشيء، فيذكره بعده "كلا" بياناً لكونه منكراً).

وقد يكون "كلا" بمعنى "حقاً"، ولا يجوز الوقف عليها لأنها من تمام ما بعدها ويجوز ذلك إذا كانت للردع وقد تحتمل معنيين.

وقد رصد "الطاهر بن عاشور" استعمالات "كلا" في مواضعها في السياق القرآني الكريم وتفرد تفسيره ببعض الإشارات اللغوية والتنبيهات البلاغية التي استشرفها من خصوصية الاستعمال اللغوي لكل سياق كريم تقع فيه "كلا"[3].

ونقرأ قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾[النبأ:٤].

قال الطاهر بن عاشور[4]: (الغالب في استعمال "كلا" أن تعقب بكلام يبين ما أجملته من الردع والإبطال فلذلك عقبت هنا بقوله تعالى "سيعلمون" وهو زيادة في إبطال كلامهم بتحقيق أنهم سيوقنون بوقوعه ويعاقبون على إنكاره).

وقد أكد صاحب "التحرير والتنوير" هذا الرأي في أكثر من موضع من القرآن الكريم فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾[مريم:٧٩].

(كلا: حرف ردع وزجر عن مضمون كلام سابق من متكلم واحد، أو من

---

(١) الجني الداني ٧٧.

(٢) شرح الكافية ٤: ٤٧٨.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠: ١٠.

(٤) المصدر السابق ٣٠: ١٠.

كلام يحكى من متكلم آخر أو مسموع منه كقوله عز وجل: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء:٦٢].

فإن قولهم: ("إنا لمدركون" بالتأكيد لشدة الاهتمام بهذا الخبر وهو مستعمل بمعنى الزجر و"كلا" ردع... ردع به موسى "عليه السلام" ظنهم أنهم يدركهم فرعون وعلل ردعهم عن ذلك بجملة "إن معي ربي سيهدين"، ويفهم من اختيار صاحب "التحرير والتنوير" للفظة "ردع" دون لفظة "زجر" أن (الردع بمعنى الزجر)[1]. فلا مبرر لعطف مثله عليه.

وقال الطاهر بن عاشور: (الأكثر أن تكون "كلا" عقب آخر الكلام المبطل لها، وقد تقدم على الكلام للاهتمام بالإبطال وتعجيله والتشويق إلى سماع الكلام الذي سيرد بعدها كما في قوله عز وجل: ﴿كَلاَّ وَالْقَمَرِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۞ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۞ إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ﴾[المدثر:٣٥]. على أحسن التأويلين ولما فيها من معنى الإبطال كانت في معنى النفي أي أن "كلا" حرف ردع وإبطال.

والغالب أن يقع بعد كلام من متكلم واحد أو متكلم وسامع. مثله قوله تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء:٦٢]. فيفيد الردع عما تضمنه الكلام المحكي قبله.

ومنه قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾[مريم:٧٩].

ويجوز تقديمه على الكلام إذا أريد التعجيل بالردع والتشويق إلى سماع ما بعده وهو هنا محتمل لأن يكون إبطالاً لما قبله من قولهم.

فإذا أراد الله بهذا مثلاً فيكون ما بينهما اعتراضاً ويكون قوله "والقمر" ابتداء كلام فيحسن الوقف على "كلا" ويحتمل أن يكون حرف إبطال مقدماً على الكلام الذي بعده من قوله تعالى "إنها لإحدى الكبر نذيراً للبشر".

---

(١) المصدر السابق ١٩: ١٣٥.

فيه تقديم اهتمام لإبطال ما يجيء بعده من مضمون قوله "نذيراً للبشر" أي: ومن حقهم أن ينتذروا بها فلم ينتذر أكثرهم على نحو قوله عز وجل: "وأنى له الذكر" فيحسن أن توصل في القراءة بما بعدها و"كلا" فهي نقيض "إي" و"أجل" ونحوهما من أحرف الجواب بتقدير الكلام السابق، ولكونها حرف ردع، أفادت معنى تاماً يحسن السكوت عليه، ولذلك جاء الوقف عليها عند الجمهور ومنع المبرد الوقف عليها بناءً على أنها لا بد أن تتبع بكلام[1].

أما قوله عز وجل: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَاء ذَكَرَهُ﴾[عبس:١٢]

. فهو هنا إبطال لما جرى في الكلام السابق ولو بالمفهوم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[عبس:٣]. ولو بالتعريض أيضاً كما في قوله عز وجل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[عبس:١].

ويجوز أن يكون تأكيداً لقوله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾[عبس:٧]. أي: لا تظن أنك مسؤول عن مكابرته وعناده فقد بلغت ما أمرت بتبليغه.

وإذا اقترضنا السؤال الآتي: (ما حكم "كلا" في مثل قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾[العلق:٦])؟ فالجواب: كما يقول صاحب "التحرير والتنوير": (إن الكلام استئناف ابتدائي لظهور أنه في غرض لا اتصال له بالكلام الذي قبله، وحرف "كلا" ردع وإبطال، وليس في الجملة التي قبله ما يحتمل الإبطال والردع فوجود "كلا" في أول الجملة دليل على أن المقصود بـ"الردع" هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾[العلق:١٠]).

وحق "كلا" أن تقع بعد كلام إبطاله والزجر عن مضمونه، فوقوعها هنا في أول الكلام يقتضي أن معنى الكلام الآتي بعدها حقيق الإبطال وبردع قائله، فابتدئ الكلام بحرف الردع للإبطال.

---

(١) التحرير والتنوير ١٦: ١٦١.

وقال تعالى في سورة "العلق" -أيضاً-: ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۞ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[العلق:١٥]. فقد (أكد الردع الأول بحرف الردع الثاني في آخر الجملة، وهو الموقع الحقيقي لحرف الردع.. إذ كان تقديم نظيره في أول الجملة لما دعا إليه المقام من التشويق وأعقبت الردع بالوعيد على فعله إذا لم يرتدع وينته عنه)[١].

ونقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۞ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾[الانفطار:٩]. فإن (كلا: ردع عما هو غرور بالله أو بالغرور مما تضمنه قوله تعالى "ما غرك بربك" والمعنى: إشراكك بخالقك باطل وهو غرور أو كالغرور.

ويجوز أن تكون "كلا" إبطال لوجود ما يغر الإنسان أن يشرك بالله أي: لا عذر للإنسان في الإشراك بالله إذ لا يوجد ما يغره به)[٢].

ونقرأ أيضاً في سورة "المطففين" قوله تعالى: ﴿أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾[المطففين:٧] . فإن "كلا" إبطال وردع لما تضمنته جملة "ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون" ومن التعجيب من فعلهم المتطففين. والمعنى: كلا بل هم مبعوثون لذلك اليوم العظيم ولتلقى قضاء رب العالمين فهي جواب عما تقدم[٣].

ونتابع القراءة في سورة "المطففين"، إذ يقول عز وجل: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ۞ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠: ٤٥٦.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠: ١٧٨.

(٣) المصدر السابق ٣٠: ١٩٤.

قال صاحب "التحرير والتنوير": (اعتراض بالردع وبيان له، لأن "كلا" ردع لقولهم "أساطير الأولين"[1] أي أن قولهم باطل، وحرف "بل" للإبطال تأكيداً لمضمون "كلا" وبياناً وكشفاً لما حملهم على أن يقولوا في القرآن ما قالوا وأنه ما أعمى بصائرهم من "الرَيْن": الصدأ.

و"كلا" الثانية تأكيد لـ"كلا" الأولى زيادة في الردع ليصير توبيخاً، كذلك اقترنت "كلا" بـ"بل" في قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن ۞ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن ۞ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيم﴾[الفجر:١٧]. فإن (حرف "كلا" زجر عن قول الإنسان "ربي أكرمن" عند حصول النعمة وقوله "ربي أهانن" عندما يناله تقتير، فهو ردع عن اعتقاد ذلك فمناط الردع كلا القولين لأن كل قول منهما صادر عن تأويل باطل)[2].

أي: ليست حالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا دليلاً على منزلته عند اله تعالى، وإنما يُعرف مراد الله بالطرق التي أرشد الله إليها بواسطة رسله وشرائعه، و"كلا" ردع عن هذا القول أي: ليس ابتلاء الله الإنسان بالنعيم وبتقتير الرزق مسبباً على إرادة الله تكريم الإنسان ولا على إرادة إهانته، وهذا ردع مجمل و"بل" إضراب انتقالي[3].

ونقرأ أيضاً في سورة "الفجر" قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيم ۞ وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين ۞ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ۞ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[الفجر:٢٠].

(كلا: زجر وردع عن الأعمال المعدودة قبله وهو عدم إكرامهم اليتيم، وعدم

---

(١) المصدر السابق ٣٠: ١٩٨.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠: ٣٣٢.

(٣) المصدر السابق ٣٠: ٣٣٢.

حضهم على طعام المسكين، وأكلهم التراث الذي هو مال غير آكله، وعن حب المال حباً جماً)[1].

ولعل من المناسب أن نذكر هنا؛ أن إشارات صاحب "التحرير والتنوير" إلى المواضع التي وردت فيها "كلا" قد بلغت "ثلاثة وثلاثين" موضعاً جاء منها -في خمسة عشر موضعاً- في الآيات المكية، ترد في معظمها على المشركين بأسلوب التهديد والعنيف والردع والزجر.

وإذا تابعنا القراءة في سورة "المدثر" فنقرأ قوله عز وجل: ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾[المدثر:٥٤]. فإن "كلا" ردع ثانٍ مؤكد للردع الذي قبله، أي: لا يؤتون صحفاً منشورة ولا يوزعون إلا بالقرآن[2]. ومثله قوله تعالى:﴿ كَلاَّ لاَ وَزَرَ﴾[القيامة:١١]. "كلا" ردع وإبطال لما تضمنه "أين المفر" من الطمع في أن يجد للفرار سبيلاً، ويجوز أن يكون "كلا لا وزر" كلاماً مستأنفاً من جانب الله تعالى جواباً لمقالة الإنسان، أي: لا وزر لك، فينبغي الوقف على المفر، ويجوز أن يكون من تمام مقالة الإنسان[3].

ونقرأ في سورة "القيامة" قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ﴾[القيامة:٢٦]. فإن "كلا": ردع ثانٍ على قول الإنسان "أيان يوم القيامة" مؤكد للردع الذي قبله في قوله تعالى "كلا بل تحبون العاجلة". ومعناه زجر عن إحالة البعث فإنه واقع غير بعيد[4]. فكل واحد يشاهده حين الاحتضار للموت كما يؤذن به قوله عز وجل: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[القيامة:٣٠].

---

(١) المصدر السابق ٣٠: ٣٣٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩: ٣٣١-٣٣٢.

(٣) المصدر السابق ٢٩: ٣٤٥.

(٤) المصدر السابق ٢٩: ٣٥٦.

فأنت ترى أن "كلا" يغلب دلالتها في تلك المواضع على الردع وإبطال الكلام الذي سبقها، والأكثر أن تكون عقب آخر الكلام المبطل بها للاهتمام بالإبطال وتعجيله والتشويق إلى سماع الكلام الذي سيرد بعدها.

نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[المؤمنون:١٠٠].

فإن (كلا: ردع للسامع ليعلم إبطال طلبه الكافر) وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[المؤمنون:١٠٠] تركيب يجري مجرى المثل وهو من مبتكرات القرآن وحاصل معناه: أن قول المشرك "رب أرجعون" لا يتجاوز أن يكون كلاماً صدر من لسانه لا جدوى له فيه، أي: لا يستجاب طلبه به[1].

ومثله قوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ۞ أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۞ كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾[مريم:٧٩]. فإن "كلا" حرف ردع وزجر عن مضمون كلام سابق.

وقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء:٦٢]. ومثله قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾[مريم:٨١]. ﴿كَلاَّ وَالْقَمَرِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۞ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۞ إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ﴾[المدثر:٣٥].

ذكر بعضهم أن "كلا" -هنا- بمعنى "حقاً"[2].

ومثله كذلك قوله عز وجل: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾[العلق:٦]. فإن حق "كلا" أن تقع بعد كلام لإبطاله والزجر من مضمونه فوقوعها هنا في أول الكلام يقتضي أن معنى الكلام الآتي بعدها حقيق بالإبطال وبردع قائله...

---

(١) المصدر السابق ١٨: ١٢٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٧: ١٦١.

وقد ذكرنا سابقاً أنه كثر اقتران "كلا" بـ"بل" لتناسب الدلالتين بين الإبطال والإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض[1].

أما قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾[عبس:٢٣]. فإن في موضع "كلا" أكثر من رأي.

الأول: الذين التزموا أن يكون حرف "كلا" للردع والزجر، وهم: الخليل وسيبويه وجمهور البصريين ويجيزون الوقف عليها كما يجيزون الابتداء بها.

وقد تأولوا هذه الآية وما أشبهتها بتوجيه الإنكار إلى ما يومئ إليه الكلام السابق أو اللاحق دون صريحة ولا مضمونة، وموقع "كلا" على هذا التأويل موقع الجواب وموقع جملة "لما يقتضي ما أمره" موقع العلة الإبطال، أي: لو قضى ما أمره الله به لعلم بطلان زعمه أنه لا ينشر[2].

وتأول صاحب "الكشاف" أنه (ردع للإنسان عما هو عليه) أي: مما ذكر قبله من شدة كفره واسترساله عليه دون إقلاع، يريد: أنه زجر عن مضمون "ما أكفره".

ومنهم من يجعل الردع متوجهاً إلى ما بعد "كلا" مما يومئ إليه قوله تعالى: ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾[عبس:٢٣]، أي: ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله الذي نبهه إليه بدعوة الرسل وبإيداع قوة التفكير فيه ويشرح هذا من كلام روي عن مجاهد، وهو أقرب، لأن بعد "كلا" لما كان نفياً ناسب أن يجعل "كلا" تمهيداً للنفي.

وموقع "كلا" على هذا الوجه أنها جزء من استئناف وموقع جملة "لما يقض ما أمره" استئناف بياني.

---

(١) المصدر السابق ٣٠: ٤٤٢.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠: ١٢٧.

أما الفريق الذين لم يلتزموا معنى الزجر في "كلا" فهو الكسائي القائل تكون "كلا" بمعنى "حقاً" ووافقه "ثعلب" و"أبو حاتم السجستاني" القائل تكون "كلا" بمعنى "ألا" الاستفتاحية.

وتكون "كلا" عند "الفراء" حرف جواب بمعنى "نعم"، وعن "الفراء" أيضاً تكون "كلا" صلة، أي: حرفاً زائداً للتأكيد.

والخلاصة أن هؤلاء يكون (تأويل الكلام على رأيهم ظاهراً).

٢٦ - "كاد"

أولاً: كاد + جملة فعلية مثبتة

قال أهل النحو[١]: (كاد) للدلالة على قرب الخبر وتعمل عمل "كان" إلا أن خبرها يجب كونه جملة ولا يقرن خبرها -في الغالب- بـ"أن"، ويستعمل مضارعها استعمال الماضي.

قال (ابن يعيش):[٢] (كاد: ترفع الاسم وتنصب الخبر حملاً على "كان" واشترطوا أن يكون الخبر فعلاً لأنهم أرادوا قرب وقوع الفعل، وجرّد من "أن" لأنهم أرادوا قرب وقوعها في الحال، وإن انصرف الكلام إلى الاستقبال فلم يأتوا بها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[طه:١٥].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (المشهود في الاستعمال أن "كاد" تدل على مقاربة وقوع الفعل المخبر به عنها فالفعل بعدها في خير الانتقاء، فقوله تعالى: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[الجن:١٩]. يدل على أن كونهم لبدا، غير واقع... ولكنه اقترب من الوقوع).

ولما كانت "الساعة" مخفية الوقوع، أي: مخفية الوقت، كان قوله تعالى "أكاد أخفيها" غير واضح المقصود؛ فاختلفوا في تفسيره على وجوه كثيرة أمثلها ثلاثة:

---

(١) أوضح المسالك ١: ١٢٨ وما بعدها.

(٢) شرح المفصل ٧: ١٩٩.

فقيل: المراد إخفاء الحديث عنها؛ أي: من شدة إرادة إخفاء وقتها أي: يراد ترك ذكرها، ولعل توجيه ذلك أن المكذبين بالساعة لم يزدهم تكرر ذكرها في القرآن إلا عناداً على إنكارها.

وقيل: وقعت "أكاد" زائدة هنا بمنزلة زيادة "كان" في بعض المواضع تأكيداً للإخفاء، والمقصود (أنا أخفيها) فلا تأتي إلا بغتة.

وتأول أبو علي الفارسي معنى "أخفيها" بمعنى "أظهرها"، وقال "همزة" أخفيها للإزالة مثل: أعجم الكتاب، أشكى زيداً؛ أزيل خفاءً. فالمعنى: أكاد أظهرها، أي: أظهر وقوعها، أي؛ وقوعها مرتب وهذه الآية من غرائب استعمال "كاد" فيضم إلى استعمال نفيها[1] في قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾[البقرة:٧١]. وقال عز وجل: ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ...﴾[التوبة:١١٧].

قال الطاهر بن عاشور: (وهذا "الزيغ"، لم يقع ولكنه قارب الوقوع و"كاد" من أفعال المقاربة تعمل في اسمين عمل "كان" واسمها "ضمير الشأن" مقدر، وخبرها هو "جملة الخبر عن ضمير الشأن". وإنما جعل اسم هنا "ضمير شأن" لتهويل شأنهم حين أشرفوا على الزيغ)[2].

وقال تعالى في سورة "الأعراف": ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾[الأعراف:١٥٠]. فإن التركيب المثبت، "وكادوا يقتلوني" أفاد معنى النفي. و(دل على أنه عارضهم معارضة شديدة ثم سلم خشية القتل)[3].

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا﴾[الإسراء:٧٤].

---

(١) التحرير والتنوير ١٦: ٢١١.

(٢) المصدر السابق ١١: ٥٠.

(٣) المصدر نفسه ٩: ١١٧.

قال الطاهر بن عاشور في تفسير القول الكريم: ركون النبي (صلى الله عليه وسلم) إليهم غير واقع ولا مقارب الوقوع لأن الآية قد نفته بأربعة أمور؛ هي: (لولا) الامتناعية، وفعل المقاربة المقتضي أنه ما كان يقع الركون ولكن يقع الاقتراب منه، والتحقير المستفاد من "شيئاً" والتقليل المستفاد من "قليلاً". أي: لولا أن ثبتناك لتحقيق قرب ميلك القليل، ولكن ذلك لم يقع لأنا ثبتناك[1].

ومثله قوله تعالى في سورة "الإسراء" أيضاً: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾[الإسراء:٧٦]. أي (كادوا أن يسعوا أن تكون فاراً) أي: خارجاً من مكة. والمعنى: كادوا أن يخرجوك من بلدك.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[الجن:١٩].

فإن ضميري "كادوا يكونون" عائدان إلى المشركين. و"عبد الله" هو "محمد" (صلى الله عليه وسلم)، وضع الاسم الظاهر موضع المضمر.

إذ مقتضى الظاهر أن يقال: (وأنه لما قمت تدعو الله كادوا يكونون عليك أو: لما قمت أدعو الله كادوا يكونون عليّ..).

ولكن عدل إلى الاسم الظاهر لقصد تكريم النبي (صلى الله عليه وسلم) بوصف "عبد الله" لما في الإضافة من التشويق مع وصف "عبد" كما في قوله تعالى "سبحان الذي أسرى بعبده" و"لبدا": جمع "لبدة"، ما تلبد بعضه على بعض.

والكلام على التشبيه، أي (كاد المشركون يكونون مثل اللبد متراصين مقتربين منه يستمعون قراءته ودعوته إلى توحيد الله)[2].

ومثله قوله عز وجل: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[النور:٣٥].

---

(١) المصدر نفسه ١٥: ١٧٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٥: ١٧٦.

تلك الشجرة (زيتها أجود زيت وإن كان أشد وقوداً ولذلك أنبع بجملة "يكاد زيتها يضيء" وهي في موضع الحال يكاد يضيء في كل حال حتى لم تمسه فيها نار)[1].

أما قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[النور:٤٣]. فهو كقوله عز وجل: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[البقرة:٢٠].

سوى أن هذه زيد فيها لفظ "سنا" لأن هذه الآية واردة في مقام الاعتبار بأمرين: بتكوين البرق في السحاب، وبقوة ضيائه حتى يكاد يذهب بالأبصار، وآية البقرة واردة في مقام التهديد والتشويه لحالهم حين كانوا مظهرين الإسلام ومنطوين على الكفر والجحود فكانت حالهم كحالة الغيث المشتمل على صواعق ورعد وبرق، فظاهرة منفعة وفي باطنة قوارع ومصائب من أجل اختلاف المقامين، وضع التعبير هنا بـ﴿يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[النور:٤٣].

وهناك بقوله تعالى: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[البقرة:٢٠]. لأن في الخطف من معنى "النكاية بهم" والتسلط عليهم ما ليس في "يذهب" إذ هو مجرد الاستلاب، وأما التعبير هنا بـ"الأبصار" معرفاً بـ"اللام": فلأن البرق مقارب أن يزيل طائفة من جنس الأبصار، أو "اللام" لام الحقيقة كما في قوله تعالى: ﴿أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾[يوسف:١٣]لأن الحكم على حالة البرق الشديد من حيث هي.

بخلاف آية "البقرة" فإنها في مقام التوبيخ لهم بأن ما شأنه أن ينتفع الناس به قد أشرف على الضر بهم. فلذلك ذكر لفظ "أبصار" مضافاً إلى ضمير "هم" مع ما في هذا التخالف من تفنين الكلام الواحد على أفانين مختلفة حتى يكون الكلام معاداً، وإن كان المعنى متحداً، ولا نجد حق الإيجاز فائتاً، فإن هذين الكلامين في

---

(١) المصدر السابق ١٨: ٢٦٣.

حد التساوي في الحروف النطق وهكذا ترى بلاغة القرآن وإعجازه وحلاوة نظمه[1].

ونقرأ في سورة "الشورى": ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾[الشورى:٥]. أي: (تكاد السماوات على عظمتهن يتشققن من شدة سخرهن فيما يسخرهن الله له من عمل لا يخالف ما قدره الله لهن وأيضاً قد قيل: إن المعنى (تكاد السموات يتفطرن من كثرة ما فيهن من الملائكة والكواكب وتصاريف الأقدار)[2].

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾[الصافات:٥٦]. فإن جملة "قال تالله"، مستأنفة استئنافياً بيانياً لأن وصف هذه الحالة يثير في نفس السامع أن يسأل، فماذا حصل حين أطلع؟ فيجاب بأنه حين رأى قرينه أخذ يوبخه على ما كان يحاول منه حتى أن يلقيه في النار مثله، وهذا التوبيخ يتضمن تنديمه على محاولة إرجاعه عن الإسلام. والقسم بـ"التاء" من شأنه أن يقع فيما جواب قسمه غريب.

"إن": مخففة من الثقيلة، واتصل بها الفعل الناسخ على ما هو الغالب في أحوالها إذا أهملت، و"اللام" الداخلة على خبر "كاد"، هي: الفارقة بين "إنْ" المخففة والنافية و"ترديني" توقعني في الردى وهو الهلاك، وأصل الردى؛ الموت.

والمعنى: أنك قاربت أن تفضي بي إلى حال الردى بإلحاحك في صرفي عن الإيمان بالبعث لفرط الصحنة.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[القلم:٥١]. فقد (جاء "يكاد" بصيغة المضارع للدلالة على استمرار ذلك في المستقبل).

وجاء الفعل "سهواً" ماضياً لوقوعه مع "لما" للإشارة إلى أنه قد حصل فهم ذلك وليس مجرد فرض، و"اللام" في "ليزلقونك"؛ لام الابتداء التي تدخل

---

(١) التحرير والتنوير ١٨: ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق ٢٦: ٢٩.

كثيراً في خبر "إنَّ" المكسورة وهي أيضاً تفرق بين "إن" المخففة وبين "إن" النافية[1].

ومثله أيضاً قوله عز وجل: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾[الفرقان:٤٢]. أي (أنهم كادوا أن يتبعوا دعوة الرسل بما يلقيه إليهم من الإقناه والإلحاح و"إنْ" مخففة من "إنَّ" المشددة، والأكثر في الكلام إهمالها، أي: ترك عملها بنصب الاسم ورفع الخبر، والجملة التي تليها يلزم أن تكون مفتحة بفعل من أخوات "كان" أو من أخوات "ظنَّ"، وهذا من غرائب الاستعمال، ولو ذهبنا إلى أن اسمها ضمير شأن وأن الجملة التي بعدها خبر عن ضمير الشأن، كما ذهبوا عليه في "أنَّ" المفتوحة الهمزة إذا خففت لما كان ذلك بعيداً. و"اللام" في قوله تعالى "ليضلنا" هي الفارقة بين "إنْ" المخففة وبين "إنْ" النافية[2].

إقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾[القصص:١٠]. فالمعنى: (أصبح فؤادها فارغاً وكادت قبل ذلك أن تبدي خبر "موسى" في مدة إرضاعه. من شدة الهلع والإشفاق عليه أن يقتل).

أو: تكون جملة "إن كادت" بمنزلة عطف بيان على "فارغاً" والتقدير: إلا من ذكر موسى فكادت تظهر ذكر موسى وتنطق باسمه من كثرة تردّد ذكره في نفسها.

أو: (أصبح فؤاد أم موسى فارغاً)؛ أي: كادت لتبدي أمر موسى من قلة ثبات فؤادها و"إنْ" مخفّفة من الثقيلة، و"اللام" في "لتبدي" فارقة بين "إنْ" المخففة و"إنْ" النافية[3].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠: ١٠٨.

(٢) المصدر السابق ١٩: ٣٣.

(٣) التحرير والتنوير ٢٠: ٨٢.

ثانياً: نفي + "كاد: يكاد" + "جملة فعلية"

قال صاحب "التحرير والتنوير":[1] (اختلفت أئمة العربية في مفاد "كاد" المنفية في نحو "ما كاد يفعل":

- فذهب قوم منهم "الزجاجي" إلى أن نفيها يدل على نفي مقاربة الفعل وهو دليل على انتفاء وقوع الفعل بالأولى، فيكون إثبات "كاد" نفياً لوقوع الخبر الذي في قولك (كاد يا قوم) أي: قارب. فإنه لا يقال إلا إذا قارب ولم يفعل، ونفيها نفياً للفعل بطريق فحوى الخطاب فهو كالمنطوق، وإن ما ورد مما يوهم خلاف مؤول بأنه اعتبار وقتين فيكون بمنزلة كلامين، ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾[البقرة:٧١]-في هذه الآية- أي: (فذبحوها الآن وكادوا يفعلون قبل ذلك..) ولعلهم يجعلون الجمع بين خبرين متنافيين في الصورة قرينة على قصد زمانيين وإلى هذا ذهب "ابن مالك" في "الكافية".
- وذهب قوم إلى أن إثبات "كاد" يستلزم نفي الخبر على الوجه الذي قررناه في تقرير المذهب الأول وأن نفيها يصير إثباتاً على خلاف القياس وقد اشتهر هذا بين أهل الإعراب.
- وذهب قوم منهم "أبو الفتح بن جني"، و"عبد القاهر الجرجاني" و"ابن مالك" في التسهيل إلى أن أصل "كاد" أن يكون نفيها لنفي الفعل بالأولى كما قال الجمهور، إلا أنها قد يستعمل نفيها للدلالة على وقوع الفعل بعد بطء وجهد وبعد أن كان بعيداً في الظن أن يقع وأسار "عبد القاهر" إلى أن ذلك استعمال جرى في العرف وهو يريد بذلك أنها "مجاز تمثيلي" بأن تشبيه حالة من فعل الأمر بعد عناء بحالة من البعد عن الفعل فاستعمل المركب الدال على حالة المشبه به في حالة المشبه ولعلهم يجعلون نحو قوله تعالى "فذبحوها" قرينة

---

(١) التحرير والتنوير ١: ٥٥١-٥٥٢.

على هذا القصد قال في "التسهيل": (وتنفي "كاد" إعلاماً بوقوع الفعل عسيراً أو بعدمه وعدم مقاربته).

- وذهب قوم إلى أن "كاد" إن نفيت بصيغة المضارع فهي لنفي المقاربة وإن نفيت بصيغة الماضي فهي للإثبات وشبهته أن جاءت كذلك في الآيتين "لم يكد يراها"، و"وما كادوا يفعلون". وأن نفي الفعل الماضي لا تستلزم الاستمرار إلى زمن الحال بخلاف نفي الفعل المضارع.
- وزعم بعضهم أن قولهم (وما كادوا يفعلون) وهم يريدون أنه: (كاد ما يفعل) إن ذلك من قبيل القلب الشائع.

وقال ابن يعيش (نقول: كاد زيد يفعل)، أي: قارب الفعل ولم يفعل، إلا أن "كاد" أبلغ في المقاربة من "عسى" والمراد قرب وقوعه في الحال إلا أنه لم يقع بعد، لأنك لا تقول إلا لمن على حد الفعل كالدخيل فيه لا زمان بينه وبين دخوله فيه، قال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[النور:٤٣]. ترفع الاسم وتنصب الخبر حملاً على "كاد" واشترطوا أن يكون الخبر فعلاً، لأنهم أرادوا قرب وقوع الفعل، وجرد من "أن" لأنهم أرادوا قرب وقوعه في الحال وإن انصرف الكلام إلى الاستقبال فلم يأتوا بها.

وإذا أخرج يده لم يكد يراها على نفي مقاربة الرؤيا، وهو أبلغ من نفي نفس الرؤية لأن "كاد" معناها قرب، فصار التقدير: (لم يقارب رؤيتها) وهو اختيار (الزمخشري) والذي أراه أن المعنى: أنه يراها بعد اجتهاد ويأس من رؤيته.

إذا استعملت "كاد" بلفظ الإيجاب كان الفعل غير واقع، وإذا اقترن بها حرف النفي كان الفعل الذي بعدها قد وقع هذا مقتضى اللفظ فيها وعليه المعنى[1].

---

(١) شرح المفصل ٧: ١٩٩.

واختار الطاهر بن عاشور "المذهب المثالي" فقال: (وعندي أن الحق هو: المذهب الثاني، وهو: (أن نفيها في معنى الإثبات) وذلك لأنهم لما وجدوها في حالة الإثبات مفيدة معنى النفي جعلوا نفيها بالعكس، كما فعلوا في "لو" و"لولا" ويشهد لذلك مواضع استعمال نفيها فإنك تجد جميعها بمعنى "مقاربة النفي" لا "نفي المقاربة").

ولعل ذلك من قبيل "القلب المطرد" فيكون قولهم: (ما كاد يفعل)، (ولم يكد يفعل) بمعنى: (كاد ما يفعل) ولا يبعد أن يكون هذا الاستعمال من بقايا لغة قديمة من العربية تجعل حرف النفي الذي حقه التأخير مقدماً..

أما دعوى المجاز فيه فيضعفها إطراد هذا الاستعمال حتى في آية: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[النور:٤٠]فإن الواقف في الظلام إذا مد يده يراها بعناء. وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾[الزُّخرُف:٥٢].

وإنما قال "وما كادوا يفعلون"، ولم يقل "يذبحون" كراهية إعادة اللفظ، تفنناً في البيان[1].

ويكاد تعدد الآراء في تركيب (نفي كاد + الخبر: جملة فعلية) يدفعنا إلى استقراء مواضع هذا التركيب في الاستعمال القرآني، لأن لكل سياق كريم خصوصيته البلاغية والأسلوبية، ورغبة في اختيار الرأي القريب إلى الواقع اللغوي تقترح عرض المزيد من شواهد هذا التركيب؛ فنقرأ قوله تعالى: فَمَا لِهَـؤُلاء ﴿الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾[النساء:٧٨].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (قوله "لا يكادون" يجوز أن جارياً على نظائره من اعتبارات القلب أي: (يكادون لا يفقهون) كما في قوله عز وجل: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾[البقرة:٧١].

---

(١) التحرير والتنوير ١: ٥٥٨.

فيكون فيه استبقاء عليهم في المذقة. ويجوز أن يكون على أصل وضع التركيب، أي: لا يقاربون فهم الحديث الذي لا يعقله إلا الفطناء فيكون أشد في المذمة)[1].

وقال تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[النور:٤٠].

يقول "الطاهر بن عاشور"[2] إنه من قبيل قوله تعالى "فذبحوها وما كادوا يفعلون" ومثله قوله عز وجل: ﴿مِن مَّاء صَدِيد ۞ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[إبراهيم:١٧]. والمعنى (لا يقارب أن يسيغه، أي: يفعل سوغه في حلقه فينحدر الشارب في الحلق بدون غصة فضلاً عن أن يسيغه بالفعل..)[3].

وقال عز من قائل: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾[الكهف:٩٣]. ومعنى قوله تعالى: ﴿ لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾[الكهف:٩٣] أنهم لا يعرفون شيئاً من قول غيرهم، فلغتهم مخالفة للغات الأمم المعروفة. ويجوز أن يكون المعنى: أنهم قوم متوغلون في البداوة والبلاهة فلا يفهمون ما يقصده من يخاطبهم)[4].

أما قوله عز وجل: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾[الزُّخرف:٥٢].

فإن معنى قوله تعالى "ولا يكاد يبين"، يكاد أن لا يبين[5]. أي: (لا يكاد يفعل) بمعنى (كاد + ما + يفعل) (كاد + لا + يفعل).

---

(١) المصدر السابق ٥: ١٣٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٨: ٢٥٦.

(٣) المصدر السابق ١٣: ٢١١.

(٤) المصدر نفسه ١٣: ٢١١.

(٥) المصدر نفسه ١٦: ٣٠.

٢٧- "كلما"

قال أهل اللغة: ("كلما" تفيد عموم مدخولها، و"ما" كافة لـ"كل" من الإضافة، أو: هي مصدرية ظرفية، أو نكرة موصوفة، فالعموم فيها مستفاد من كلمة "كل").

قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾[البقرة:٢٠].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (ذكرت "كلما" في جانب "الإضاءة"، و"إذا" في جانب "الإظلام"؛ لدلالة "كلما" على حرصهم على المشي، وأنهم يترصدون "الإضاءة" فلا **** زمناً من أزمان حصولها ليتبينوا الطريق في سيرهم لشدة الظلمة فإسناد "الظلام" إلى "البرق" مجاز لأنه تسبب في الإظلام)[1].

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾[نوح:٧]. والمعنى: (أنهم لم يظهروا مخيلة من الإصغاء إلى دعوته ولم يتخلفوا عن الإعراض والصدود عن دعوته طرفة عين، فلذلك جاء بكلمة "كلما" الدالة على شمول كل دعوة من دعواته مقترنة بدلائل الصد عنها).

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾[البقرة:٢٥]. فإن "كلما": ظرف زمان، لأن "كل" -كما ذكر من قبل- أضيفت إلى "ما" الظرفية المصدرية، فصارت لاستغراق الأزمان المقيدة بمدلول فعل الشرط، ولذلك خرجت كثير من كلمات العموم إلى معنى الشرط عند اقترانها بـ"ما" الظرفية، نحو (كيفما، أنما، أينما، متى، ما، مهما)، والناصب لـ"كلما": الجواب، لأن الشرطية طارئة عليها

---

(١) التحرير والتنوير ١: ٣٢١.

طرياناً غير مطرد بخلاف "مهما" وأخواتها، ويحتمل أن "كلما" لعموم غير الزمن الأول، فهو عام مراد به الخصوص بالقرينة)[1].

ونقرأ قوله عز وجل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾[البقرة:٨٧]. فـ"الفاء" للسببية، والاستفهام للتعجيب من طغيانهم ومقابلتهم جميع الرسل في جميع الأزمان بمقابلة واحدة ساوى فيها الخلف السلف مما دل على ذلك سجية في الجميع. وتقديم "همزة" الاستفهام على حرف العطف المفيد للتشريك في الحكم استعمال متبع في كلام العرب وظاهر غريب.

وقد استقريت هذا الاستعمال فوجدت مواقعه خاصة بالاستفهام غير الحقيقي فـ"الهمزة" للتوبيخ و"الفاء" حينئذ عاطفة مقدراً معطوفاً.

ونقرأ قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾[البقرة:١٠٠]. فالأسلوب (استفهام مستعمل في التوبيخ معطوف...).

وقد تقدمت "الهمزة" محافظة على صدارتها كما هو شأنها مع حروف العطف وانتصب "كلما" بالنيابة عن الظرف لأنه أضيف إلى "كا" الظرفية المصدرية وقد قام الظرف ليكون موالياً للاستفهام المراد منه "التعجب"، ليظهر أن محل العجب هو استمرار ذلك منهم الدال على أنه سجية لهم، والتقدير: ("أفاستكبرتم كلما جاءكم رسول" فقدم الظرف للاهتمام لأنه محل العجب.

وقد دل العموم الذي في "كلما" على شمول "التكذيب" أو "القتل" لجميع المرسلين إليهم، لأن عموم الأزمان يستلزم عموم الأفراد المظروفة فيها)[2].

وقال عز من قائل: ﴿كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ﴾[المائدة:٧٠].

---

(١) المصدر السابق ١: ٣٥٦.

(٢) التحرير والتنوير ١: ٥٩٧-٥٩٨.

فقد أنصب "كلما" على الظرفية، لأنه دال على استغراق أزمنة مجيء الرسل إليهم فيدل على استغراق "الرسول" تبعاً لاستغراق "أزمنة مجيئهم" إذ استغراق أزمنة وجود شيء يستلزم استغراق أفراد ذلك الشيء، فـ"ما" الظرفية مصدرية دالة على الزمان، وانتصب "كل" على النيابة عن الزمان لإضافته إلى اسم الزمان المبهم وهو "ما" الظرفية المصدرية.

والتقدير: (في كل أوقات مجيء الرسل إليهم كذبوا ويقتلون)[1].

والدارس يقرأ هذا الرأي في أكثر من موضع في تفسير "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور. وكأن "كلما" قد اختصت بهذا التركيب، وتلك الدلالة كما في قوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[آل عمران:٣٧].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ("كلما": مركبة من "كل" الذي هو اسم العموم ما يضاف هو إليه، ومن "ما" الظرفية وصلتها المقدرة بالمصدر.

والتقدير: كل وقت دخول (زكريا) عليها وجد عندها رزقاً، وانتصب "كل" على النيابة عن المفعول فيه)[2].

ومعنى قوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[النساء:٥٦]. ("كلما" احترقت جلودهم فلم يبق فيها حياة وإحساس بدلناهم..

أي: عوضناهم جلوداً غيرها، والتبديل يقتضي المغايرة، وقوله تعالى "غيرها" تأكيد لما دل عليه فعل التبديل)[3].

ومثله قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[الأعراف:٣٨]. أي: (لعنت كل أمة منهم أختها في كل أوقات دخول الأمة منهم، فتفيد عموم الأزمنة، أي: كل أمة

---

(١) المصدر السابق ٤: ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) التحرير والتنوير ٣: ٢٣٦.

(٣) المصدر السابق ٤: ٩٠.

تدخل تلعن كل أخت لها "المماثلة" لها في الدين الذي أوجب لها الدخول في النار، وأفادت "كلما" لما فيها من معنى التوقيت؛ أن ذلك اللعن يقع عند دخول الأمة النار، فيتعين إذن أن يكون التقدير: لعنت أختها الابقة إياها في الدخول في النار)[1].

ونقرأ أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾[هود:٣٨]. و"ما" في "كلما" من العموم مع الظرفية أشربت معنى الشرط مثل "إذا" فاحتاجت إلى جواب وهو "سخروا منه"[2].

ولعل من المفيد الإشارة إلى دقة هذه الإشارة التي نبه إليها الطاهر بن عاشور.

أما قوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[الإسراء:٩٧].

فقد عرض فيه صاحب "التحرير والتنوير" آراء بعض المفسرين، واختار رأياً وذلك في تفسيره القول الكريم: (عندي أن معنى الآية جارٍ على طريق التهكم وبادئ الإطماع المسفر عن خيبة، لأنه جعل ازدياد مقترناً بكل زمان من أزمنة الخبو كما تفيد كلمة "كلما" التي بمعنى "كل زمان"، وهذا في ظاهره إطماع بحصول خبو لورود لفظ "الخبو" في الظاهر ولكنه يؤول إلى يأس منه إذ يدل على دوام سعيرها في كل زمان لاقتران سعيرها بكل أزمان خبوها)[3]، فهذا الكلام من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[الأعراف:٤٠]. ومثله قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾[الحج:٢٢]. فإن معناه (أنهم لشدة ما تعمهم، أي: يمنعهم من التنفس، يحاولون الخروج فيعادون فيما فيحصل لهم الهم والخيبة، ويقال لهم: ذوقوا عذاب الحريق).

---

(١) المصدر السابق ٨: ١٢٠-١٢١.

(٢) المصدر السابق ٩: ٦٨.

(٣) التحرير والتنوير ٤: ٢١٨.

و"الحريق": النار الضخمة المنتشرة، وهذا القول: إهانة لهم فإنهم قد علموا أنهم يذوقونه[1]. ونتوقف عند قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ الملك:٨.

فقد جاءت "كلما" المركبة من "كل" الاسم الدال على الشمول، ومن "ما" الظرفية المصدرية، وهي حرف يؤول مع الفعل الذي بعده بمصدره، والتقدير في كل وقت إلقاء فوج يسألهم خزنتها الفوج، وباتصال "كل" بحرف "ما" المصدرية الظرفية، اكتسب التركيب معنى الشرط، وشابه أدوات الشرط في الاحتياج إلى جملتين مرتبة إحداهما على الأخرى وجيء بفعلي "ألقى" و"سألهم" ماضين لأن أكثر ما يقع الفعل بعد "كلما" أن يكون بصيغة الماضي، لأنها لما شابهت الشرط استوى الماضي والمضارع معها لظهور أنه للزمن المستقبل، فأوثر فعل الماضي لأنه أحق.

---

(١) المصدر السابق ١٧: ٢٣٠.

٢٨- "كم"

قال أهل اللغة[١]: "كم" على وجهين:

- "خبرية" بمعنى "كثير"،
- استفهامية بمعنى أي "عدد"؟

ويشتركان في خمسة أمور:

الأول: الاسمية، ولا خلاف في "اسمية" الاستفهامية وذهب بعض النحويين إلى أنها حرف، والإبهام، والافتقار إلى التمييز والبناء ولزوم التصدير.

وتفترق الخبرية عن الاستفهامية في أن الكلام مع الخبرية، محتمل التصديق والتكذيب بخلافه مع الاستفهامية.

الثاني: أن المتكلم بالخبرية لا يستدعي من مخاطبة جواباً لأنه مخبر، والمتكلم بالاستفهامية يستدعيه لأنه مستخبر

الثالث: أن الاسم المبدّل من الخبرية لا يقترن بالهمزة بخلاف المبدل من الاستفهامية في الخبرية يقال: كم كتابٍ خمسون بل ستون، وفي الاستفهامية: كم مالك أعشرون أم ثلاثون؟

الرابع: أن تميز الخبرية مفرد أو مجموع، تقول: كم كتاب ملكت وكم كتب ملكت.

---

(١) الجنى الداني: ٢٦١.

الخامس: تمييز الخبرية واجب الخفض، وتمييز الاستفهامية منصوب.

وقد أوجز الطاهر بن عاشور الفروق اللغوية بين نوعي "كم" في مؤلفه "التحرير والتنوير" فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾[البقرة:٢١١].

فإن "كم": اسم للعدد المبهم، فيكون الاستفهام ويكون للإخبار وإذا كانت للإخبار دلت على عدد كثير مبهم، ولذلك تحتاج إلى مميز في الاستفهام وفي الإخبار.

وهي هنا؛ استفهامية، كما يدل عليه وقوعها في حيز السؤال، فالمسئول عنه هو عدد الآيات[١].

قال الزمخشري: (فإن قلت: "كم" استفهامية أم خبرية؟ قلت: تحتمل الأمرين، ومعنى الاستفهام فيها للتقدير...)[٢].

وفصل صاحب "التحرير والتنوير"[٣] في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾[الأنعام:٦]، (كم: اسم للسؤال عن عدد مبهم فلا بد بعده من تفسير كما في قوله عز وجل: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾[البقرة:٢١١].

وتكون "خبرية" فتدل على عدد كبير ولا بد من مفسر هو تمييز للإبهام فأما "الاستفهامية" فمفسرها منصوب أو مجرور، وإن كانت خبرية فمفسرها مجرور لا غير، ولما كان "كم" اسماً في الموضعين كان له موقع الأسماء بحسب العوامل رفع ونصب وجر.

---

(١) التحرير والتنوير ٢: ٢٨٩.

(٢) الكشاف ١: ٢٥١.

(٣) التحرير والتنوير ٧: ١٣٧.

و"من" في قوله تعالى "من قبلهم" ابتدائية لتأكيد القبلية، وأما "مِن" في قوله عز وجل "من قرن" فزائدة جارة لمميز "كم" الخبرية لوقوع الفصل بينهما وبين مميزها.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾[الأعراف:٤]. فإن "كم" اسم دل على عدد كثير وهو هنا خبر عن الكثرة[١]. ومثله في أول سورة "الأنعام".

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ﴾[الزُّخرُف:٦].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ("كم" اسم دال على عدد كثير مبهم، و"كم" نصب بالمفعولين لـ"أرسلنا" وهو ملتزم بتقديمه لأنه أصله اسم استفهام، فنقل من الاستفهام إلى "الإخبار" على سبيل الكناية، وشاع استعماله في ذلك حتى صادر الإخبار بالكثرة معنى من معاني "كم" والداعي إلى اجتلاب اسم العدد الكثير، أن كثرة وقوع هذا الحكم أدخل في زجرهم عن مثله وأدخل في تسلية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتحصيل صبره، لأن كثرة وقوعه تؤذن بأنه سنه لا تتخلف وذلك أزجر وأسلى)[٢].

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾[الإسراء:١٧].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (كم: في الأصل استفهام عن العدد، وتستعمل خبرية دالة على عدد كثير مبهم النزع فلذلك تحتاج إلى تمييز لنوع العدد:

---

(١) التحرير والتنوير ٩: ١٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥: ١٦٥.

وهي هنا خبرية في محل نصب بالفعل الواقع بعدها لأنها التزام تقديمها على الفعل نظراً لكون أصلها في الاستفهام وله صدر الكلام، و"من القرون" تمييز للإبهام الذي اقتضته "كم"[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾[السجدة:٢٦].

والاستفهام إنكاري، أي: (هم لم يهتدوا بدلائل النظر والاستدلال التي جاءهم بها القرآن، وضمن فهل "يهد" معنى يتبين، فعدى بـ"اللام" فأفاد هداية واضحة بينة).

واختير فعل الهداية في هذه الآية لإرادة الدلالة الجامعة للمشاهدة ولسماع أخبار تلك الأمم تمهيداً لقوله في آخرها "أفلا يسمعون" ولأن كثرة ذلك المستفاد من "كم" الخبرية إنما تحصل بترتيب الاستدلال في تواتر الأخبار.

وفاعل "يهد" ما دلت عليه "كم" الخبرية من معنى الكثرة، ولا يجوز عند الجمهور جعل "كم" فاعل يهد، لأن "كم" الخبرية اسم له الصدارة في الاستعمال إذ أصله استفهام فتوسع فيه، ويجوز جعل "كم" فاعلاً عند من لم يشترطوا أن تكون "كم" الخبرية في صدر الكلام[2].

ونقرأ قوله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾[طه:١٢٨].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (جملة: "كم أهلكنا" معلقة فعل "يهد" عن العمل في المفعول، لوجود اسم استفهام بعدها، أي: ألم يرشدهم إلى جواب "كما أهلكنا قبلهم".

أي: كثرة إهلاكنا القرون، والمعنى: أفلم يهد الله جواب "كم أهلكنا".

---

(١) المصدر السابق ١٥: ٥٦.

(٢) المصدر السابق ٢١: ٢٤٦.

والمعنى أفلم يبين لهم هذا السؤال.. أي: يحصل لهم التبين[1].ويفهم من هذا الكلام أن "كم" يجوز أن تكون سؤالاً، ويجوز أن أشرب معناها الدلالة على الكثرة.

أما قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[المؤمنون:١١٢].

فإن قوله عز وجل "عدد سنين" فقد انتصب على التمييز لـ"كم" الاستفهامية، والتمييز إنما هو "سنين" وإضافة لفظ "عدد" إليه تأكيد لمضمون "كم" لأن "كم" اسم استفهام عن العدد، فذكر لفظ "عدد" معها تأكيد لبعض مدلولها[2].

---

(١) التحرير والتنوير ١٦: ٣٣٤.

(٢) المصدر السابق ١٨: ١٣١.

٢٩ - "كافة"

قال الطاهر بن عاشور: (كافة: اسم يفيد الإحاطة بأجزاء ما وصف به وهو في صورة صوغه كصوغ "الفاعلة" من "كفّ" ولكن ذلك مصادفة في صيغة الوضع، وليس فيها معنى الكف ولا حاجة إلى تكلّف بيان المناسبة بين صور لفظها وبين معناها المقصود في الكلام لقلة جدوى ذلك وتفيد مفاد ألفاظ التوكيد الدالة على الشمول والإحاطة.

و"التاء": المقترنة بها، ملازمة لها في جميع الأحوال كيفما كان المؤكد بها مؤنثاً كان أو مذكراً مفرداً أو جمعاً، نحو: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[التوبة:٣٦].

وأكثر ما يستعمل "كافة" في الكلام أنه حال من اسم قبله كما هنا في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾[البقرة:٢٠٨]. فقوله تعالى "كافة" حال من ضمير "أدخلوا" أي: (حالة كونكم جميعاً لا يستثنى منكم أحد)[١].

قال (ابن هشام) في "مغني اللبيب": (إن "كافة" إذا استعملت في معنى الجملة والإحاطة لا تكون حالاً مما جرت عليه، ولا تكون نكرة ولا يكون موصوفها إلا مما يعقل[٢]... ولكن (الزمخشري) جوز جعل "كافة" حال من "السلم" والسلم مؤنث.

---

(١) التحرير والتنوير ٢: ٢٧٠.

(٢) أوضح المسالك ح٢: ٦٠.

وقد أكد الطاهر بن عاشور[1] هذا الرأي في كلمة "كافة" وذلك في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:٣٦].

فإن (كافة: كلمة تدل على العموم والشمول بمنزلة "كل" لا يختلف لفظها باختلاف المؤكد بين إفراد وتثنية وجمع، ولا من تذكير وتأنيث، وكأنه مشتق من الكف عن استثناء بعض الأفراد، ومحلها نصب على الحال من المؤكد بها، فهي في الأول: تأكيد لقوله "المشركين" وفي الثاني: تأكيد لضمير المخاطبين[2].

أما في قوله تعالى في سورة "سبأ": ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبا:٢٨].

ذكر ابن هشام أن "كافة" حال من "الكاف" و"التاء" للمبالغة لا للتأنيث ويلزمه تقديم الحال المحصورة، وتعدى "أرسل" بـ"اللام"[3].

وقال "الطاهر بن عاشور": ("كافة": من ألفاظ العموم، وقعت هنا حالاً من "الناس" مستثنى من عموم الأحوال، وهي: حال مقدمة على صاحبها المجرور بالحرف)[4].

والتحقق: أن "كافة" يوصف بها العاقل وغيره، وأن تعتوره وجوه الإعراب كما هو مختار "الكشاف" وشهد له القرآن والاستعمال. وأن ما شدد به التذكير على الزمخشري وتضيق الجواز.

والتقدير: -في هذه الآية- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً﴾.

---

(١) التحرير والتنوير ١٠: ١٨٨.

(٢) الكشاف ١: ٢٤٩.

(٣) أوضح المسالك ٢: ٦٠.

(٤) التحرير والتنوير ٢٢: ١٥٨.

وقدم الحال على صاحبه للاهتمام بها لأنها تجمع الذين كفروا برسالته كلهم. وتقديم الحال على المجرور جائز على رأي المحققين من أهل العربية، وإن أباه الزمخشري هنا وجعله بمنزلة تقديم المجرور على حرف الجر، فجعل "كافة" نعتاً لمحذوف، أي: إرساله كافة أي: عامة.

وقد ردّ عليه "ابن مالك" في "التسهيل"، وقال (قد جوزه في هذه الآية) "أبو علي الفارسي" و"ابن كيان".

وقال الطاهر بن عاشور: (وجوزه "ابن عطية" و"الرضى" وجعل "الزجاج" "كافة" هنا حالاً من "الكاف" في "أرسلناك" -كما فعل "ابن هشام"- وفسره بمعنى: (جامع للناس، في الإنذار والإبلاغ، وتبعه "أبو البقاء"، وقال الزمخشري: (وحق "التاء" على هذا التفسير أن يكون للمبالغة كـ"تاء"؛ (العلامة) و(الرواية) كذلك تقديم المستثنى للغرض أيضاً)[1].

وقد اشترك "الزجاج" و"الزمخشري" هنا في إخراج "كافة" عن معنى الوصف بإفادة الذي هو شمول جزئي في غرض معين إلى معنى الجمع الكلي المستفاد من وراء ذلك.

وهذا كمن يعد إلى "كل" فيقول (إنك كل للناس) أي: جامع للناس أو يعمد إلى "على" الدالة على الاستعلاء الجزئي فيستعملها بمعنى، الاستعلاء الكلي، فيقول: (إياك وعلى) يريد: إياك والاستعلاء.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢: ١٥٨.

٣٠- "ويكأن"

وردت هذه المفردة في موضعين من القرآن الكريم استعملا في سياق آية كريمة واحدة في سورة "القصص": ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[القصص:٨٢].

قال فريق من أهل اللغة[١] ومنهم الأخفش، وقطرب، إن "ويكأن" مركبة من ثلاث كلمات: (وي) + (كاف الخطاب) + (أن).

فأما "وي": فهي اسم فعل بمعنى "أعجب"، وأما "الكاف" فهي لتوجيه الخطاب تنبيهاً على مثل "الكاف" اللاحقة لأسماء الإشارة... وأما "أن" المفتوحة "الهمزة" أخت "إن" المكسورة الهمزة، فما بعدها في تأويل مصدر هو المتعجب منه، فيقدر لها حرف جر ملتزم حذفه لكثرة استعماله، وكان حذفه مع "أن" جائز، فصار في هذا التركيب واجباً، وهذا الحرف هو "اللام" أو "من".

فالتقدير: أعجب يا هذا من بسط الله الرزق لمن يشاء والمعنى: التعجب من الأمر وأنه يشبه أن يكون كذا، والتشبيه مستعمل في (الظن) و(اليقين)، والمعنى: أما تعجب كأن الله يبسط الرزق.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠: ١٨٧.

وذهب فريق آخر من اللغويين ومنهم "أبو عمرو بن العلاء" و"الكسائي" و"الليث" و"ثعلب"، ونسبه "الزمخشري" في "الكشاف" إلى "الكوفيين"[1]. (أنها مركبة من أربع كلمات؛ كلمة "ويل" + "كاف الخطاب" + فعل "أفعل" + أن أصله: (ويلك أعلم أنه كذا) فحذف "لام": "الويل" وحذف فعل "أعلم" فصار "ويكأنه" وكتاباتها متصلة على هذا الوجه صارت رمزاً لمجموع كلماته فكانت مثل "النحت".

ولاختلاف هذه التقادير اختلفوا في "الوقف" فالجمهور يقفون على "ويكأنه" بتمامه، والبعض يقف على "وي" والبعض يقف على "ويك".

ومعنى الآية على الأقوال كلها: (أن الذين كانوا يتمنون منزلة قارون ندموا على تمنيهم لما رأوا سوء عاقبته وأمتلكهم العجب من تلك القصة ومن خفي تصرفات الله تعالى في خلقه وعلموا وجوب الرضى بما قدر للناس من الرزق فخاطب بعضهم بعضاً بذلك وأعلنوه...)[2].

وجملة "ويكأنه لا يفلح الكافرون" تكرير للتعجب، أي: قد تبين أن سبب هلاك قارون هو كفره رسول الله.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٢٠.

يُنظر مغني اللبيب ١: ٥٩١.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠: ١٨٨.

٣١- "كأين - كأي"

"كأين": ذكره "ابن هشام"[١] بالتنوين وحذف "النون"؛ "كأي" فقال إن "كأين" إنه: اسم مركب من "كاف" التشبيه و"أي" المنونة ولذلك جاز الوقف عليها بـ"النون" لأن التنوين لما دخل في التركيب أشبه "النون" الأصلية ولهذا رسم في المصحف "نوناً" ومن وقف عليها بحذفه اعتبر حكمه في الأصل وهو الحذف في الوقف...

وتوافق "كأي"؛ "كم" في خمسة أمور: الإبهام، والافتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير وإفادة التكثير تارة وهو الغالب نحو قوله تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[آل عمران:١٤٦] والاستفهام، أخرى، وهو نادر، ولم يتنبه إلا "ابن قتيبة" و"ابن عصفور" و"ابن مالك" وتخالفهما في خمسة أمور: أنها مركبة، و"كم" بسيطة - على الصحيح.

وأن مميزها مجرور بـ"من" غالباً - وأن العرب لا يتكلمون به إلا مع "من" ومن الغالب قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾[آل عمران:١٤٦]. ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ﴾[يوسف:١٠٥]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾[الحج:٤٨]، العنكبوت: ٦٠، محمد: ١٣، ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾[الحج:٤٥].

أنها لا تقع استفهامية عند الجمهور.

أنها لا تقع مجرورة خلافاً لابن قتيبة وابن عصفور.

أن خبرها لا يقع مفرداً.

---

(١) مغني اللبيب ١: ٣١٦.

وقد أوجز صاحب "التحرير والتنوير"[1]: الدقائق اللغوية لـ"كأين" في الاستعمال القرآني فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[آل عمران:١٤٦].

"كأين": كلمة بمعنى التكثير، قيل: هي بسيطة موضوعة للتكثير.

وقيل: هي مركبة من "كاف" التشبيه + "أي" الاستفهامية؛ وهو قول الخليل وسيبويه وليست هذه استفهامية حقيقية، ولكن المراد منها تذكير المستفهم بالتكثير فاستفهامها مجازي.

أي: ن كانت في سياق الاستفهام لكنها أشربت معنى التكثير و"نونها" كـ"أين" في الأصل تنوين "كأي"؛ فلما ركبت وصارت كلمة واحدة جعل تنوينها "نوناً"، وبنيت، والأظهر أنها بسيطة.

وأنا أرى أفهم لما راموا التخفيف جعلوا "الهمزة"؛ ألفاً ثم التقى ساكنان على غير حدّه، فحذفوا "الياء" الساكنة، فبقيت "الياء" المكسورة، فشابهت اسم فاعل "كان" فجعلوها "همزة" كـ"الياء" التي تقع بعد "ألف" زائدة وأكثر ما وقع في كلام العرب هو "كأين" لأنها أخف في النظم وأسعد بأكثر الموازين في أوائل الأبيات وأواسطها بخلاف "كائن".

وقال الزجاج: اللغتان الجيدتان "كأين"، "كائن".

والتكثير المستفاد من "كأين" واقع على تمييزها وهو لفظ "نبئ" فيحتمل أن يكون تكثيراً بمعنى مطلق العدد، فلا يتجاوز جمع القلة ويحتمل أن يكون تكثيراً في معنى جمع الكثرة، فمنهم من علمنا ومنهم من لم نعلمه[2].

ونقرأ أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[يوسف:١٠٥].

---

(١) التحرير والتنوير ٤: ١١٦.

(٢) التحرير والتنوير ٤: ١١٨.

قال صاحب "التحرير والتنوير"[1] في تفسير الآية الكريمة: (كأين: اسم يدل على كثرة العدد المبهم يتبينه مجرور بـ"من" "وهم معرضون عن آيات كثيرة في السماوات والأرض". وقال تعالى في سورة "الحج": ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾[الحج:٤٥].

وقد أكد صاحب "التحرير والتنوير"[2] تعريفه لـ"كأين"؛ فقال: (كأين: اسم دال على الإخبار عن عدد كثير، وموضعها من الجملة محل رفع بالابتداء والتقدير: كثير من القرى أهلكناها.. وموضعها من الجملة في محل رفع بالابتداء، وما بعدها خبر، والتقدير: أهلكنا كثيراً من القرى أهلكناها).

والأحسن: الوجه الأول: لأنه يحقق الصدارة التي تستحقها "كأين" بدون حاجة إلى الاكتفاء بالصدارة الصورية، وعلى الوجه الأول فجملة "أهلكناها" في محل جر صفة لـ"قرية".

وقال عز وجل في سورة "الحج" أيضاً: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾[الحج:٤٨]. فقد (ذكروا بأن أمماً كثيرة أمهلت ثم حل بها العذاب..

فوزان هذه الآية وزان قوله آنفاً: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾[الحج:٤٥]. إلا أن الأولى قصد منها كثرة الأمم التي أهلكت لئلا يتوهم من ذكر قوم "نوح" ومن عطفت عليهم أن الهلاك لم يتجاوزهم، ولذلك اقتصر فيها على ذكر الإهلاك دون الإمهال وهذه الآية القصد منها التذكير، بأن تأخير الوعيد لا يقتضي إبطاله ولذلك اقتصر فيها على ذكر الإمهال، ثم الأخذ بعده المناسب للإملاء من حيث إنه دخول في القبضة بعد بعده عنها...

---

(١) المصدر السابق ١٣: ٦٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٨: ٢٨٥.

وأما عطفه جملة "فكأين من قرية أهلكناها" بـ"الفاء" وعطف جملة "وكأين من قرية أمليت لها" بـ"الواو" فلأن الجملة الأولى وقعت بدلاً من جملة "فكيف كان تكبر".

فقرئت بـ"الفاء" التي دخلت نظيرتها على الجملة المبدل منها، وأما هذه الجملة الثانية فخلية من ذلك فعطفت بالحرف الأصلي للعطف)[1].

أما الوضع الآخر الذي وردت فيها "كأين" فهو قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾[محمد:١٣].

وقد نبه صاحب "التحرير والتنوير" على بعض الإشارات اللغوية التي تضمنتها تلك المواضع، وبخاصة "ويكأن من قرية" و"فكأين من قرية".

قال الطاهر بن عاشور: (وكلمة "كأين" تدل على كثرة العدد، والمراد بـ"القرية": أهلها، بقرينة قوله تعالى "أهلكناهم").

وإنما أجري الإخبار على القرية وضميرها لإفادة الإحاطة بجميع أهلها وجميع أحوالهم وليكون الإسناد إخراج الرسول إلى القرية كلها وقع من التبعة على جميع أهلها سواء منهم من تولي أسباب الخروج، ومن كان ينظر ولا يهني، قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾[الممتحنة:٩]. هذا إطناب في الوعيد، لأن مقام التهديد والتوبيخ يقتضي الإطناب.

فمفاد هذه الآية مؤكد لمفاد قوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[محمد:١٠].

فحصل توكيد ذلك بما هو مقارب له من إهلاك الأمم ذوات القرى والمدن[2].

---

(١) المصدر السابق ١٨: ٢٨٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦: ٩٠.

٣٢- "كيف"

قال ابن هشام: (كيف: تستعمل على وجهين:

أحدهما: أن تكون شرطاً: فتقتضي فعلين متفقين اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو: (كيف تصنع أصنع).. ومن ورد "كيف" شرطاً في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[آل عمران:٦].

أي أن (صاحب المغني جوز أن تكون "كيف" -هنا- شرطية والجواب محذوف لدلالة قوله تعالى "يصوركم"...

واستبعد ذلك صاحب "التحرير والتنوير" فقال: (هو بعيد، لأنها -أي كيف- لا تأتي في الشرط إلا مقترنة بـ"ما" وأما قول الناس (كيف شاء فعل): فلحن.

وكذلك جزم الفعل بعدها فقد عد لحنا عند جمهور أئمة العربية...)[1].

وأعلم أن ("كيف" هنا ليس فيها معنى الاستفهام، بل هي دالة على مجرد الكيفية، أي: الحالة، فهي هنا مستعملة في أصلها الموضوعة في اللغة، إذ لا ريب في أن "كيف": مشتملة على حروف مادة الكيفية، والتكيف، وهي الحالة والهيئة، وإن كان الأكثر في الاستعمال: أن تكون اسم استفهام، وليست "كيف" فعلاً، لأنها لا دالة فيها على الزمان، ولا حرفاً لاشتمالها على مادة اشتقاق.

وقد تجيء "كيف" اسم شرط إذا اتصلت بها "ما" الزائدة وفي كل ذلك لا تفارقها الدلالة على الحالة. ولا يفارقها إيلاء الجملة الفعلية إياها إلا ما شذَّ من قولهم: كيف ذلك.

---

(١) التحرير والتنوير ٣: ١٥٢.

إذا كانت "كيف" استفهاماً فالجملة بعدها هي المستفهم عنه، فتكون معمولة للفعل الذي بعدها، ملتزماً تقديمها عليه لأن للاستفهام الصدارة.

إذا جردت "كيف" عن الاستفهام كان موقعها من الإعراب على حسب ما يطلبه الكلام الواقعة هي من العوامل كسائر الأسماء.

أما الجملة التي بعد "كيف" فالأظهر أن تعتبر مضافاً إليها اسم "كيف" ويعتبر "كيف" من الأسماء اللازمة للإضافة.

جرى في كلام بعض أهل العربية أن فتحة "كيف" فتحة بناء والأظهر عندي أن فتحة "كيف" فتحة نصب لزمتها لأنها دائماً متصلة بالفعل، فهي معمولة على الحالية أو نحوها، فملازمة ذلك الفتح إياها أشبهت فتحة البناء.

و"كيف" في قوله تعالى "كيف يشاء" يعرب مفعولاً مطلقاً "يصوركم" إذ التقدير (حال تصوير يشاؤها)[1] كما قاله "ابن هشام" في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾[الفجر:٦].

ومثله قوله تعالى: ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[الروم:٤٨].

فإن "كيف" هنا مجردة عن معنى الاستفهام وموقعها المفعولية المطلقة من "يبسطه" لأنها نائبة عن التصدر، أي: يبسطه بسطاً كيفيته يشاؤها الله... ومن زعم أنها شرط[2] لم يصادف الصواب[3].

أما قوله تعالى: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:٦٤]. فإن "كيف": -هنا- اسم دال على الحالة وهو مبني في محل نصب على الحال.

الثاني: هو الغالب في "كيف"، أن تكون استفهاماً حقيقياً نحو: كيف زيد؟ أو غير حقيقي، نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾[البقرة:٢٨]. فإنه أخرج مخرج التعجب[4].

---

(١) التحرير والتنوير ٣: ١٥٢.

(٢) يقصد: ابن هشام: في مغني اللبيب ١: ٣٤٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢١: ١٢١.

(٤) مغني اللبيب ١: ٣٤٥.

وقد فصل صاحب "التحرير والتنوير"؛ وظائف "كيف" اللغوية والنحوية والدلالية، مما يستلهم من أسرارها في السياق القرآني، ويبدو أن لم يسبقه -كما أرى- أحد من أهل اللغة من المفسرين إلى ما فصله في كتابه "التحرير والتنوير".

فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّـهِ﴾[البقرة:٢٨]. (كيف: اسم لا يعرف اشتقاقه يدل على حالة خاصة وهي التي يقال لها الكيفية نسبة إلى "كيف".

ويتضمن معنى السؤال في أكثر موارده استعماله فلدلالته على الحالة كان في عداد الأسماء، لأنه أفاد معنى في نفسه إلا أن المعنى الاسمي الذي دل عليه لما كان معنى مبهماً شابه معنى الحرف فلما أشربوه معنى الاستفهام قوى شبهه بالحروف لكنه لا يخرج عن خصائص الأسماء فلذلك لا بد له من محل إعراب، وأكثر استعماله اسم استفهام، فيعرب إعراب الحال. ويستفهم بـ"كيف" عن الحال العامة.

والاستفهام هنا مستعمل في التعجب والإنكار بقرينة قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾[البقرة:٢٨]أي: أن كفركم مع تلك الحالة شأنه أن يكون منتفياً لا تركن غليه النفس الرشيدة... فالإنكار متولد من معنى الاستفهام)[1].

وقال تعالى: ﴿... كَيْفَ بَنَيْنَاهَا...﴾[ق:٦].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ("كيف": اسم جامد مبني، معناها "حالته" وأكثر ما يرد في الكلام السؤال عن الحالة فيكون خبراً قبل ما لا يستغني عنه مثل (كيف أنت)، وحالاً قبل ما يستغنى عنه، نحو: كيف جاء ومفعولاً مطلقاً نحو قوله عز وجل: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾[الفجر:٦]. ومفعولاً به نحو قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا﴾[الإسراء:٢١]. وهي هنا بدل "من فوقهم". فتكون حالاً في المعنى، والتقدير ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾[ق:٦]. فتكون جملة "بنيناها" بدلاً مبيناً لـ"كيف"[2].

---

(١) التحرير والتنوير ١: ٣٧٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦: ٢٨٦.

أو تكون "كيف" حالاً نحو قوله تعالى "ألم تر كيف فعل ربك". فإن (كيف: للاستفهام سد مسد مفعولي أو مفعول "تر") أي: (لم تر) جواب هذا الاستفهام، كما يقول: علمت هل زيد قائم؟ وهو نصب على الحال من فاعل "تر".

ويجوز أن يكون "كيف" مجرداً عن معنى الاستفهام مراداً منه مجرد الكيفية فيكون نصاً على المفعول به... وإيثار "كيف" للدلالة على حالة عجيبة يستحضرها من يعلم تفصيل القصة)[1].

وقال ابن هشام في (وعندي أنها تأتي في هذا النوع مفعولاً مطلقاً، وأن منه فقوله تعالى "كيف فعل ربك" إذ المعنى: أي فعلٍ فعَل ربك ولا يتجه فيه أنه يكون حالاً من الفاعل...)[2].

ونقرأ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾[آل عمران:٢٥].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (كيف: هنا خبر لمحذوف دل على نوعية السياق وفي "كيف" معنى الاستفهام التفظيعي كقولك: كيف أنت إذا لقيت العدو)[3].

ومثله قوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾[النساء:٤١]. فالاستفهام بـ"كيف" هنا مستعمل في لازم معناه من التعجيب.

---

(١) المصدر السابق ٣٠: ٥٤٤.

(٢) مغني اللبيب ١: ٣٤٥.

(٣) التحرير والتنوير ٣: ٢١١.

٣٣- "اللام"

لعل من الصعب على الدارس رصد الدقائق اللغوية لمواضع "اللام" في السياق القرآني، فلكل موضع خصوصيته الإعجازية، ولطيفته اللغوية، وتنويرته الدلالية ولكن سنحاول أن نتتبع بعض الشواهد الكريمة في ضوء تفسير "التحرير والتنوير" ومنها:

١) "اللام" في كلمة "عمرك":

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الحجر:٧٢].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (العمر: خص المفتوح بصيغة القسم لخفته بالفتح لأن القسم كثير الدوران في الكلام، فهو قسم بحياة المخاطب به وهو في الاستعمال إذا دخلت عليه "لام" القسم رفعوه على الابتداء محذوف الخبر والتقدير (لعمرك قسمي)؛ وهو من المواضع التي يحذف فيها الخبر حذفاً لازماً في استعمال العرب اكتفاء بدلالة "اللام" على معنى القسم.

وقد يستعملونه بغير "اللام" فحينئذ يقرنونه باسم الجلالة وينصبونها، كقول "عمر بن أبي ربيعة": عمرك الله كيف يلتقيان...

فنصب "عمر" بنزع الخافض، وهو "باء" القسم. ونصب "اسم الجلالة" على أنه مفعول المصدر...[١]

---

(١) التحرير والتنوير ١٤: ٦٨.

٢) ونضع في هذا السياق "اللام" - التي سماها النحاة "اللام" الموطئة للقسم، فقال "ابن هشام": (اللام الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها، لا على الشرط، ومن ثم تسمى "اللام" المؤذنة، وتسمى (الموطئة) أيضاً، لأنها وطأت الجواب للقسم أي: مهدته له.

نحو قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لاَ يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ﴾[الحشر:١٢].

وأكثر ما تدخل على "إن" وقد تدخل على غيرها...)[١].

قال صاحب "التحرير والتنوير"[٢]: (اللام: موطئة للقسم، وهذا تأكيد من الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) أنهم لن يضروه شيئاً لكيلا يعبأ بما بلغه من مقالته وضمير "أخرجوا" و"قوتلوا" عائدان إلى "الذين كفروا من أهل الكتاب").

والمعنى: لئن أخرج بقية اليهود في المستقبل لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا في المستقبل لا ينصرونهم.

ويبدو أن "الجواب" للتركيب المصدر بـ"لئن" (لم يحب إلا لقسم) غير دقيق، لأنك لا تجد من جملة القسم إلا هذه "اللام" المتصدرة، فليس في التركيب (أداة القسم) ولا (مقسم به) فضلاً عن أن سياق التركيب قد شرب بالزلالة الشرطية.

ونقل "ابن هشام"[٣] عن (الفراء) أنه (زعم أن الشرط قد يحذف مع تقدم القسم عليها) وهذا الرأي قريب من الواقع اللغوية للتركيب.

وهذا ما يفهم من كلام "الطاهر بن عاشور" في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾[فاطر:٤١].

---

(١) مغني اللبيب ١: ٣٩٢.

(٢) التحرير والتنوير ٢٨: ١٠٠.

(٣) مغني اللبيب ١: ٣٩٢.

قال صاحب "التحرير والتنوير": (اللام: موطئة للقسم، والشرط وجوابه مقسم عليه، أي: محقق تعليق الجواب بالشرط ووقوعه عنده، أي: محقق تعليق الجواب بالشرط ووقوعه عنده.

وجواب الشرط هو: الجملة المنفية بـ"إن" النافية وهي أيضاً سادة مسد جواب القسم)[1].

٣) ونتابع بعض مواضع "اللام" في السياق الكريم، فنقرأ قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾[التغابن:٩].

قال صاحب "التحرير والتنوير"[2]: (اللام: في "ليوم": يجوز أن يكون للتعليل، أي: يجمعكم لأجل اليوم المعروف بالجمع المخصوص وهو الذي لأجل جمع الناس، أي: يبعثكم لأجل أن يجمع الناس كلهم للحساب فمعنى الجمع هنا غير معنى الذي في "يجمعكم").

وليس هذا من تعليل الشيء بنفسه بل هو من قبيل "التجنيس" ويجوز أن يكون "اللام" بمعنى "في" على نحو ما قيل في قوله تعالى: ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾[الأعراف:١٨٧].

وقوله عزوجل: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[الفجر:٢٤].

وقول العرب (مضى لسبيله) أي: في طريقه وهو طريق الموت.

والأحسن عندي: أن يكون "اللام" للتوقيت؛ وهي التي بمعنى "عند" كالتي في قولهم (كتب لكذا معنيين مثلاً). وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢: ٣٢٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢٨: ٢٧٦.

الشَّمْسِ﴾[الإسراء:٧٨]. وهو استعمال يدل على شدة الاقتراب، ولذلك فسروه بمعنى "عند"[١].

أما "اللام" في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧].

"اللام" في قوله تعالى "للذكر" متعلقة بـ"يسرنا" وهي ظرف لغو غير مستقر وهي "لام"؛ تدل على أن الفعل الذي تعلقت به "فعل"؛ لانتفاع مدخول هذه "اللام" به فمدخولها لا يراد منه مجرد تعليل فعل الفاعل -كما هو معنى التعليل المجرد، ومعنى المفعول لأجله المنتصب بإضمار "لام" التعليل البسيطة- ولكن يراد أن مدخول هذه "اللام" علة خاصة مراعاة في تحصيل فعل الفاعل لفائدته فلا يصح أن يقع مدخول هذه "اللام" مفعولاً لأن المفعول لأجله علة بالمعنى الأعم، ومفعول هذه "اللام" علة خاصة فالمفعول لأجله؛ بمنزلة سبب الفعل وهو كمدخول "باء" السببية في نحو (وكلا أخذنا بذنبه).

ومجرور هذه "اللام" بمنزلة مجرور الملابسة في نحو "تنبت بالذهن"، وهو أيضاً شديد الشبه بالمفعول الأول في باب "كسا" و"أعطى"، وهذه "اللام" من القسم الذي سماه "ابن هشام" في "مغني اللبيب" [شبه الملك][٢] ونبع في ذلك "ابن مالك" في "شرح التسهيل" وأحسن من ذلك تسمية "ابن مالك" إياه -في شرح كافيته- في الخلاصة معنى "التعدية" ولقد أجاد في ذلك لأي مدخول هذه "اللام" قد تعدى إليه الفعل الذي تعلقت به "اللام" تعدية مثل تعدية الفعل المتعدي إلى المفعول وغفل "ابن هشام" عن التدقيق[٣] وهو المعنى الخامس من معاني "اللام" الجارة في "مغني اللبيب".

وقد مثله بقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾[الشورى:١١].

---

(١) مغني اللبيب ١: ٣٥٠.

(٢) مغني اللبيب ١: ٣٥٠.

(٣) التحرير والتنوير ٢٧: ١٩٠.

ومثله له "ابن مالك" في "شرط التسهيل" بقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[مريم:٥].

ومن الأمثلة التي تصلح له قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾[يس:٧٢]. وقوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾[الأعلى:٨] وقوله عز وجل: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[الليل:٧] وقوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[الليل:١٠].

ألا نرى أن مدخول "اللام" في هذه الأمثلة دال على المنتفعين بمفاعيل أفعالها فهم مثل أول المفعولين من باب كسا.

وأصل معاني "لام" الجر: هو التعليل، وتنشأ من استعمال "اللام" في التعليل المجازي معانٍ شاعت مساوت الحقيقة فجلها النحويون معاني مستقلة لقصد الإيضاح.

ونقرأ في هذا السياق قوله تعالى: ﴿بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾[الأعراف:١٠٨]. يقول صاحب "التحرير والتنوير": (عندي أن قوله تعالى "بيضاء للناظرين" أحسن ما يمثل به لكون "اللام" للتعدية، وأن نفسر هذا المعنى بأنه تقريب المتعلق بكسر "اللام" المتعلق بفتح "اللام" تقريباً لا يجعله في معنى المفعول به.

وإن شئت إرجاع معنى التعدية إلى أصل من المعاني المشهورة لـ"اللام" فالظاهر أنها من فروع معنى شبه "الملك"[١].

وقال أيضاً صاحب "التحرير والتنوير": في خصوصية "اللام" في النظم القرآني ("اللام" و"إلى" يتعاقبان كثيراً في الكلام)[٢]. كما في قوله تعالى: ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[الممتحنة:٨]. و"اللام" الداخلة بعد فعل القول في نحو "أقول لك"

---

(١) التحرير والتنوير ٩: ١١٥.

(٢) المصدر السابق ٢٨: ١٥٣.

"اللام": للتعليل، أي (أقول قولي لأجلك)[1].

قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾[إبراهيم:١١].

وقد يقترن الفعل بـ"اللام" ليتضمن معنى آخر، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾[البقرة:٧٥]. فـ"اللام" في "لكم" لتضمين "يؤمنوا" معنى "يقروا" وكأنه فيه تلميحاً إلى أن: إيمانهم بصدق الرسول حاصل ولكنهم يكابرون ويجحدون على نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٤٦].

فما أبدع نسج القرآن.

---

(١) المصدر نفسه ١٣: ٢٠١.

٣٤- "لا"

من مواضع "لا" في السياق الكريم:

الموضع الأول "لا أقسم":

إن صيغة "لا أقسم"؛ صيغة قسم أدخل حرف النفي على فعل "أقسم" لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به بحيث يوهم للسامع أن المتكلم يهم أن يقسم به ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به، فيقول: (لا أقسم به)، أي (ولا أقسم بأعز منه عندي)، وذلك كناية عن تأكيد القسم...

وفيه محسن بديعي من قبيل ما يسمى (تأكيد المدح بما يشبه الذم). وهذا لم نذكره فيما مضى، ولم يذكره أحد[1].

ومثله قوله عز وجل: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[الواقعة:٧٥].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (لا أقسم: بمعنى "أقسم" - ولا "مزيدة" للتوكيد وأصلها نافية تدل على أن القائل لايقدم على القسم بما أقسم به خشية سوء عاقبة الكذب في القسم.

وبمعنى أنه غير محتاج إلى القسم لأن الأمر واضح الثبوت، ثم ذكر هذا الاستعمال فصار مراداً تأكيداً الخبر فساوى القسم بدليل قوله عقبه: ﴿وَإِنَّهُ

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩: ٣٣٨.

﴿لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة:٧٦] وهذا الوجه هو الأنسب بما وقع من مثله في القرآن)[١].

ونجد من المفيد -هنا- أن ننبه إلى الإشارات الآتية:

الأولى: أن الرأي الذي ذكره صاحب "التحرير والتنوير" قد اختاره (الزمخشري) فقال: (والمعنى من ذلك أنه لا يقسم بالشيء إعظاماً له بدليل ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة:٧٦].

الثانية: أن القول بـ"زيادتها" - يرد عليه بأن (زيادة الحرف تفيد إطراحه، ومجيء الحرف أول الكلام يدل على قوة العناية به، أعطته الصدارة، ويبعد احتمال وقوعها "زائدة" لتوكيد القسم وتقويته).

الثالثة: تصدرت "لا" - في كل مواضعها فعلاً مضارعاً "أقسم" مسنداً إلى الله تعالى، لتؤكد حرمة المقسم به لوضوح الحق فيه[٢].

الموضع الثاني "لا" + فعل ماضي..

قال الله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[البلد:١١].

في تفسير القول الكريم؛ قال الطاهر بن عاشور: (إن شأن "لا" النافية إذا دخلت على فعل الماضي، ولم تتكرر أن تكون للدعاء، إلا إذا تكررت معها مثلها معطوفة عليها نحو قوله تعالى "فلا صدق ولا صلى" أو كانت "لا" معطوفاً على نفي نحو "ما خرجت ولا ركبت" فهو في حكم تكرير "لا" وقد جاءت هنا نافية في غير دعاء، ولم تتكرر استغناء عن تكريرها بكون ما بعدها وهو "اقتحم العقبة" يتضمن شيئين جاء بيانهما في قوله عز وجل "فك رقبة أو إطعام..." فكأنه قال: (فلا فك

---

(١) المصدر السابق ٢٦: ٣٣٠.

(٢) الحروف الزائدة في ضوء الدراسات القرآنية: ص ٨١-٨٢.

رقبة ولا أطعم يتيماً أو مسكيناً)ويجوز أن يكون عدم تكرير "لا" هنا استغناء بقوله تعالى (ثم كان الذين آمنوا..) فكأنه قيل: "فلا اقتحم العقبة ولا آمن".

ويظهر أن كل ما يصرف عن القياس الكلام كاف عن تكرير "لا"[1].

الموضع الثالث: تصدر "لا" ثاني طرفي التسوية:

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيءُ﴾[غافر:٥٨].

(تصدرت "لا" ثاني طرفي التسوية في قوله تعالى "...ولا المسيء..." وقد (أعيدت "لا" النافية بعد "واو" العطف على النفي، وكان العطف مغنياً عنها فإعادتها إفادة تأكيد نفي المساواة ومقام التوبيخ يقتضي "الإطناب" ولذلك نعد "لا" في مثله "زائدة" - كما في "مغني اللبيب")[2].

وكان الظاهر أن تقع "لا" قبل "الذين آمنوا" فعُدل عن ذلك للتنبيه على أن المقصود عدم مساواة المسيء لمن عمل الصالحات، أن ذكر الذين آمنوا قبل المسيء للاهتمام بالذين آمنوا ولا مقتضى للعدول عنه بعد أن قضي حق الاهتمام بالذين سبق الكلام لأجل تمثيلهم، فحصل من الكلام اهتمامان[3].

وقد نقل عن "الفراء"[4] و"الأخفش" وغيرهما[5] أن "لا" في قوله تعالى "ولا المسيء" أنها "زائدة"، وهذا الرأي: "مردود": وذلك أن الفعل "يستوي" لا يكتفي بفاعل واحد، لأنك تقول: (ما يستوي زيد وعمرو) ولا تقول: ما يستوي زيد

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠: ٣٥٦.

(٢) مغني اللبيب ١: ٤٠٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٤: ١٧٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥: ٢٦١، ١٤: ٣٢٨.

(٥) البحر المحيط ج٧: ٣٠٨، ٤٩٨.

فتقتصر على واحد[1]، ولا بد من أن تقترن "لا" التي يقع بعدها الفاعل "الثاني" بـ"الواو" التي قيل أنها عاطفة، وبسببها لم يكن لـ"لا" موضع إعرابي أو وظيفة لغوية غير توكيد النفي المرادف لمعنى "زيادتها" -عند جمهور النحاة- إذ إن "لا" زيدت للتأكيد في الجميع لأن نفي المساواة معلوم من "ما" النافية في رأيهم، وظاهر السياق يهدينا إلى أن "لا" في قوله تعالى "ولا المسيء" أعيدت تذكيراً للنفي السابق لما بينهما من الفصل بطول التركيب، ولأن المقصود بالنفي أن الكافر المسيء لا يساوي المؤمن المحسن، وذكر عدم مساواة الأعمى للبصير توطئة له، ولو لم يعد النفي فيه فربما ذهل عنه، وظن أنه ابتداء كلام، وقد أعيد التركيب المنفي بـ"لا" بأداة نفي أخرى هي "ما" فلم تتكرر أداة النفي، وفي ذلك بلاغة تميز بها الأسلوب القرآني.

الموضع الرابع: (لا + جرم):

قال تعالى: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾[النحل:٦٢].

وقال "ابن هشام"[2]: (ومثل "لا رجل" عند الفراء "لا جرم" نحو قوله تعالى: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾[النحل:٦٢]والمعنى: عنده لا بد من كذا، أو لا محالة في كذا).

فحذفت "من" أو "في"، وقال قطرب "لـ": رد لما قبلها، أي ليس الأمر كما وصفوا، ثم ابتدئ ما بعده و"جرم" فعل لا اسم ومعناه وجب وما بعده فاعل وقال قوم: "لا": زائدة، و"جرم" وما بعدها فعل وفاعل كما قال قطرب؛ ورده "الفراء" بأن "لا" لا تزاد في أول الكلام...

وقال الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾[هود:٢٢].

---

(١) أمالي الشجري ٢: ٢٣١.

(٢) مغني اللبيب ١: ٣٩٤.

(لا جرم: كلمة جرم ويقين، جرت مجرى المثل).

وأحسب أن "جرم" مشتق مما تنوسي وقد اختلفت أيمة العربية في تركيبها، وأظهر أقوالهم: (أن تكون "لا" من أول الجملة، و"جرم": اسم معنى: (محالة) أي: لا محالة، أو بمعنى "بدَّ" أي "لا بدَّ" ثم يجيء بعدها "أن" واسمها وخبرها، فتكون "أن" معمولة طرف خير محذوف والتقدير: (لا جرم من أن الأمر كذا).

ولما فيها من معنى التحقيق "لا جرم لأفعلن")[1].

---

(١) التحرير والتنوير ١٢: ٣٨.

٣٥- "لعل"

قال أهل اللغة[١]: "لعل": حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر قال بعض أصحاب الفراء، وقد ينصبها وقد زعم "يونس" أن ذلك لغة لبعض العرب... ولها معانٍ:

أحدها التوقيع:

وهو ترجي المحبوب والإشفاق من المكروه.

كقول "فرعون" ﴿لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾[غافر:٣٦-٣٧].

قال الرضي: (في "ليت" معنى تمنيت، وفي "لعل" معنى ترجيت، وماهية التمني غير ماهية الترجي، لا أن الفرق بينهما من جهة واحدة، وهي: استعمال التمني في الممكن والمحال، واختصاص الترجي بالممكن... والترجي: ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله فيدخل في الارتقاب: الطمع والإشفاق، فالطمع ارتقاب شيء محبوب، والإشفاق ارتقاب المكروه)[٢].

الثاني التعليل: حملوا عليه قوله تعالى: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[طه:٤٤].

الثالث الاستفهام: قال الرضي: (تجيء "لعل" للاستفهام: لعل زيداً قائم، أي هل هو كذلك؟: ومعنى الاستفهام: أتيته الكوفيون: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ

---

(١) مغني اللبيب ١: ٤٦٨-٤٧١.

(٢) شرح الرضي ٤: ٣٣٢-٣٣٣.

أَمْرًا﴾[الطلاق:١]. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[عبس:٣].

وقد فصل "الطاهر بن عاشور" بعض أسرار "الجمل" المصدرة بـ"لعل" في ضوء تفسيره "التحرير والتنوير"؛ كما في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١].

قال صاحب "التحرير والتنوير": "لعل": حرف يدل على الرجاء، و"الرجاء" هو: الإخبار عن تهيئ وقوع أمر في المستقبل وقوعاً مؤكداً.

فتبين أن "لعل" حرف مدلوله خبري، لأنها إخبار عن تأكيد حصول الشيء. ومعناها مركب من رجاء التكلم في المخاطب وهو معنى جزئي حرفي(١).

ونقرأ في سورة "البقرة" أيضاً: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٦٣].

الرجاء الذي يقتضيه حرف "لعل" مستعمل في معنى تقريب سبب التقوى بحضهم على الأخذ بقوة، وتعهد التذكر لما فيه، فذلك التقريب والتبيين شبيه برجاء الراجئ ويجوز أن يكون "لعل" قرينة استعارة تمثيل شأن الله حين هيأ لهم أسباب الهداية بحال الراجي تقولهم.

وعلى هذا محمل موارد كلمة "لعل" في الكلام المسند إلى الله تعالى "لعل" حقيقتها؛ إنشاء الرجاء والتوقع.

وتستعمل في الإنكار والتحذير على طريقة المجاز المرسل لأنهما لا زمان لتوقع الأمر المكروه.

ومن التراكيب التي تقتضي التوقف عندها؛ (وقد شاع عن المفسرين وأهل العلوم الخيرة في مجمل (لعل) الواقعة من كلام الله تعالى، لأن معنى الترجي:

---

(١) التحرير والتنوير ١: ٣٢٨.

يقتضي عدم الجزم بوقوع المرجو عند المتكلم، فللشك جانب في معناها[1]... ولهم في تأويل "لعل" الواقعة في كلام الله تعالى، وجوه:

أحدها: قال "سيبويه": (لعل: على بابها، والترجي أو التوقع وإنما هو في حيز المخاطبين...)[2]. يعني أنها للإخبار بأن المخاطب يكون مرجواً.

واختاره "الرضي" قائلاً: (لأن الأصل أن لا تخرج عن معناها بالكلية)[3].

و(الحق ما قاله سيبويه، وهو أن الرجاء أو الإشفاق يتعلق بالمخاطبين، وإنما ذلك لأن الأصل ألا تخرج الكلمة عن معناها بالكلية فـ"لعل" منه تعالى: حمل لنا على أن نرجو أو نشفق كما أن "لعل" المفيدة للشك إذا وقعت في كلامه تعالى كانت للتشكيك أو: الإبهام لا للشك؛ تعالى الله عنه).

وقال صاحب "التحرير والتنوير": (أقول لا يعني سيبويه أن ذلك معنى أصل لها، ولكنه يعني أنها مجاز قريب من معنى الحقيقة لوقوع التعجيز في أحد جزأي المعنى الحقيقي، لأن الرجاء يقتضي واجباً ومرجواً منه.

فحرف الرجاء دال على معنى فعل "الرجاء" إلا أنه معنى جزئي، وكل من (الفاعل) و(المفعول) مدلول لمعنى الفعل بالالتزام، فإذا دلت القرينة على تعطيل دلالة حرف الرجاء على فاعل الرجاء لم يكن في الحرف أو الفعل تعجز، إذا المجاز إنما يتطرق للمدلولات اللغوية لا العقلية وكذلك إذا لم يحصل الفعل المرجو).

ثانيهما: "لعل" للإطماع، نقول للقاصد (لعلك تنال بغيتك).

قال "الزمخشري": (وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن). والإطماع: أيضاً معنى مجازي للرجاء، لأن الرجاء يلتزمه التقريب والتقريب

---

(١) المصدر السابق ١: ١٢٩.

(٢) الكتاب ٢: ٣١١، المقتضب ٣: ٧٣.

(٣) شرح الرضي ٤: ٣٣٣.

يستلزم الإطماع، فالإطماع لازم بمرتبتين.

ثالثهما: أنها للتعليل: "بمعنى "كي":

قاله "قطرب" و"أبو علي الفارسي" و"ابن الأنباري"؛

وأحسب أن مرادهم هذا المعنى في المواقع التي لا يظهر فيها معنى الرجاء، فلا يرد عليهم أنه لا يطرد في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[الشورى:١٧]. (إذ لا معنى فيه للتعليل) لصحة معنى" الرجاء" بالنسبة للمخاطب.

ولا يرد عليهم أيضاً أنه إثبات معنى في "لعلَّ" ولا يوجد له شاهد من كلام العرب، وجعله "الزمخشري" قولاً متفرعاً على قول من جعلها للإطماع، فقال: ("لعل" للترجي أو الإشفاق تقول: لعل زيداً يكرمني ولعله يهينني، وقال الله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[طه:٤٤]. ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[الشورى:١٧]. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾[الشورى:١٨].

وقد جاءت على سبيل الإكماع في مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم، إذا طمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به).

قال من قال: (إن "لعل" بمعنى "كي" و"لعل" لا تكون بمعنى "كي" يعني فهو معنى مجازي)[1]. ناشيء عن مجاز آخر، فهو من تركيب المجاز على اللزوم بثلاث مراتب[2].

وقد ذهب الرضي إلى أن ("لعل" بمعنى "التعليل" في مثل قوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج:٧٧].. أي: لتفلحوا)[3]. ونبه "الطاهر بن عاشور" إلى أن

---

(١) الكشاف ١: ٩٨-٩٩.

(٢) التحرير والتنوير ١: ١٢٩.

(٣) شرح الكافية ٤: ٣٣٣.

(الرجاء المستفاد من: ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الجمعة:١٠]. مستعمل في معنى تقريب الفلاح لهم إذا بلغوا بأعمالهم الحد الموجب للفلاح فيما حدده الله تعالى؛ فهذه حقيقة الرجاء. وأما ما يستلزمه الرجاء من تردد الراجي في حصول المرجو فذلك لا يخطر بالبال لقيام الأدلة التي تحيل الشك على الله تعالى..).

رابعاً: أنها "استعارة":

ذهب صاحب "الكشاف" إلى أن "لعل" استعارة: فقال: (ولعل: واقعة في الآية موقع المجاز، لأن الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم ووضع في أيديهم زمام الاختيار، وأراد منهم الخير والتقوى فهو في صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المترجي بين أن يفعل وأن لا يفعل)[1].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (كلام الكشاف يجعل "لعل" في كلامه تعالى استعارة تمثيلية لأنه جعلها تشبيه هيئة مركبة من شأن المزيد والمراد منه، والإرادة بحال مركبة من الراجي والمرجو منه والرجاء فاستعير المركب الموضوع للرجاء لمعنى المركب الدال على الإرادة).

قال الطاهر بن عاشور: (عندي وجه آخر مستقل، وهو: أن لعل الواقعة في مقام تعليل أمر أو نهي، لها استعمال يغاير استعمال "لعل" المستأنفة في الكلام سواء وقعت في كلام الله أم في غيره، فإذا قلت: (أفتقد فلاناً لعلك تنصحه). كان إخباراً باقتراب وقوع الشيء، وأنه في حيز الإمكان إن تم ما علق عليه.

فأما اقتضاءه عدم جزم المتكلم بالحصول فذلك معنى التزامي أغلبي قد يعلم انتفاءه بالقرينة، وذلك الانتفاء في كلام الله أوقع، فاعتقادنا بأن كل شيء لم يقع أو لا يقع في المستقبل هو القرينة على تعطيل هذا المعنى الالتزامي دون احتياج إلى

---

(١) التحرير والتنوير ١٧: ٣٤٦.

التأويل في معنى الرجاء الذي تفيده "لعل" حتى يكون مجازاً أو استعارة، لأن "لعل" إنما أتى بها لأن المقام يقتضي معنى الرجاء فالتزام تأويل هذه الدلالة في كل موضع في القرآن تعطيل لمعنى (الرجاء) الذي يقتضيه المقام.

والجماعة لجأوا إلى التأويل لأنهم نظروا إلى "لعل" بنظر متحد في مواقع استعمالها بخلاف "لعل" المستأنفة، فإنها أقرب إلى إنشاء الرجاء منها إلى الإخبار به. وعلى كل فمعنى "لعل" غير معنى أفعال المقاربة.

أما قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾يس:٧٤. فقد (وقعت "لعل" فيه موقعاً غير مألوف لأن شأن "لعل" أن تفيد إنشاء رجاء المتكلم بها.. وذلك غير مستقيم هنا.

وقد أغفل المفسرون التعرض لتفسيره، وأهمل علماء اللغة من استعمال "لعل" فيتعين: إما أن تكون "لعل" تمثيلية مكنية.

بأن شبه شأن الله فيما أخبر عنهم بحال من يرجو من المخبر عنه أن يحصل لهم خبر "لعل" وذكر حرف "لعل" رمز لرديف المشبه به، فتكون جملة "لعلهم ينصرون" معترضة بين "آلهة" وبين صفته وهي جملة "لا يستطيعون نصرهم". وأما أن يكون الكلام جرى على معنى الاستفهام، وهو استفهام إنكاري أو تهكمي، والجملة معترضة أيضاً.

وأما أن يجعل الرجاء متصرفاً إلى رجاء المخبر عنه؛

أي: راجين أن تنصرهم تلك الآلهة؛ وعلى تقدير قول محذوف أي: قائلين "لعلنا ننصر" وحكي "ينصرون" بالمعنى على أحد وجهين في حكاية الأقوال، تقول (قال أفعل كذا) (قال يفعل كذا)، تكون جملة (لا يستطيعون لضرهم) استئنافاً للرد عليهم.

وإما نجعل "لعل" للتعليل: على مذهب "الكسائي" فتكون جملة "لا يستطيعون نصرهم" استئنافاً)[1].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣: ٧١.

٣٦- "لما"

تتضمن هذه الأداة نمطين

النمط الأول: "لما + فعل ماضي" "فعل"

قال أهل النحو: (من أوجه "لما" أن تختص بالماضي؛ فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما، نحو: (لما جاء في أكرمته).

ويقال فيها: (حرف وجود لوجود).

وبعضهم يقول: (حرف وجوب لوجوب).

وزعم ابن سراج، وتبعه الفارسي وتبعها ابن جني، وتبعهم جماعة، (أنها ظرف بمعنى حين).

وقال "ابن مالك": (بمعنى "إذ": وهو حسن، لأنها مختصة بالماضي والإضافة إلى جملة... ويكون جوابها فعلاً ماضياً اتفاقاً، وجملة اسمية مقرونة بـ(إذا) الفجائية أو بالفاء عند "ابن مالك"، وفعلاً مضارعاً عند "ابن عصفور").

دليل الأول: ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾[الإسراء:٦٧].

الثاني: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥].

الثالث: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾[لقمان:٣٢]...

وقيل في آية "فمنهم..." إن الجواب محذوف، أي: انقسموا قسمين فمنهم مقتصد وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا﴾[هود:٧٤].

إن جواب "وجاءته البشرى" على "زيادة" "الواو" أو محذوف: أي (أقبل يجادلنا)[١].

ونقرأ قوله تعالى: ﴿لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾[غافر:٦٦].

يقول صاحب "التحرير والتنوير": (حرف أو ظرف على خلاف بينهم - وأياً ما كان فهي كلمة تفيد اقتران مضمون جملتين، تليانها تشبهان جملتي الشرط والجزاء، ولذلك يدعونها "لما" التوقيتية وحصول ذلك في الزمن الماضي)[٢].

ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾[الأعراف:٢٢].

يقول صاحب "التحرير والتنوير"[٣]: (قد أفادت "لما" توقيت بدو سوآتهما بوقت ذوقهما الشجرة لأن "لما" حرف يدل على وجود شيء عند وجود غيره فهي لمجرد توقيت مضمون جوابها بزمان وجود شرطها، وهذا معنى قولهم "حرف وجود لوجود"، فـ"اللام" في قولهم "لوجود" بمعنى "عند").

ولذلك قال بعضهم هي: (ظرف بمعنى حين)؛ يريد باعتبار أصلها، وإذ قد التزموا فيها تقديم ما يدل على الوقت لا على الموقت، شابهت أدوات الشرط فقالوا (حرف وجود لوجود) - كما قالوا في "لو" (حرف امتناع لامتناع) وفي "لولا": حرف امتناع لوجود.

---

(١) مغني اللبيب ١: ٤٦٠-٤٦١.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣: ١٩٤.

(٣) المصدر السابق ٩: ٦٢.

ولكن "اللام" في عبارة النحاة في تفسير معنى "لو" و"لولا" هي "لام التعليل" بخلاف عبارتهم في "لما" لأن "لما"؛ لا دلالة على سبب.

ألا ترى قوله تعالى "فلما نجاكم.. أعرضتم.." إذ ليس الإنجاء بسبب لإعراض، ولكن لما كان بين السبب والمسبب تقارن كثر في شرطه "لما" وجوابها مغني السببية دون إطراد...

وفي موضع آخر قال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـٰذَا﴾[آل عمران:١٦٥].

(لما: اسم زمان مضمن معنى الشرط فيدل على وجود جوابه لوجود شرطه وهو ملازم الإضافة إلى جملة شرطه.

فالمعنى: (قلتم لما أصابتكم مصيبة، أنى هذا)، "أنى": استفهام بمعنى "أين" قصدوا التعجب والإنكار، وجملة "قلتم أنى هذا"؛ جواب "لمَّا" والاستفهام يأتي هنا مستعمل في التعجب)[1].

قال الطاهر بن عاشور - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾[يونس:١٣].

(... والعرب أكثروا في كلامهم تقديم "لما" في صدر جملتها فأشبهت بذلك التقديم رائحة الشرطية.

فأشبهت الشروط لأنها تضاف على جملة، كجملة الشرط ولأن عاملها فعل ماضي، فبذلك اقتضت جملتين فأشبهت حروف الشرط)[2].

ومثله قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ﴾[مريم:٤٩]. فإن "لما": حرف وجود لوجود.

---

(١) التحرير والتنوير ٣: ١٦١.

(٢) المصدر السابق ١١: ١١٣.

أي: يقتضي وجود جوابه لأجل شرطه، فتقتضي جملتين، والأكثر أن يكون وجود جوابها عند وجود شرطها، وقد تكون بينهما فترة فتدل على مجرد الجزائية أي: التعليل دون توقيت... وذلك كما هنا[1].

وقد يحذف جواب "لما"، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ﴾[يوسف:١٥]. فإن (جواب "لما" محذوف دل عليه "أن يجعلوه في غيابات الجب" والتقدير: جعلوه في الجب، ومثله كثير في القرآن وهو من الإيجاز الخاص بالقرآن، فهو: تقليل في اللفظ لظهور المعنى)[2].

النمط الثاني: "لما" + الفعل المضارع "يفعل"

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾[آل عمران:١٤٢].

قال جمهور النحاة[3]: (لما: حرف نفي أخت "لم" إلا أنها أشد نفياً من "لم" لأن "لم" لنفي قول القائل "فعل فلان"، و"لما": لنفي قوله: (قد فعل فلان) وقال "سيبويه": (أن "لم" لنفي يفعل، و"لن" "سيفعل"، و"ما" لنفي (لقد فعل) و"لا" لنفي (هو يفعل)...

فتدل "لما" على اتصال النفي بها على زمن المتكلم، بخلاف "لم".

ومن هذه الدلالة استفيدت الدلالة أخرى وهي: أنها تؤذن بأن المنفي بها مترقب الثبوت فيما يستقبل، لأنها قائمة مقام قولك (استمر النفي إلى الآن).

---

(١) المصدر نفسه ١٦: ١٢٥.

(٢) المصدر نفسه ١٢: ٢٣٣.

(٣) الكتاب ٢: ٣٠٥.

وإلى مثل هذا الرأي، قد أشار "الزمخشري" فقال: (لما: بمعنى "لم" إلا أن فيها ضرباً من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ونقول: (وعدني أن يفعل كذا، ولما تريد، ولم يفعل، وأنا أتوقع فعله)[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ﴾الحجرات:١٤. (في "لما"[2]: معنى التوقع (فيه دلالة على أن الإعراب آمنوا فيما بعد)[3].

وذكر الطاهر بن عاشور أن "لما" أخت "لم" في الدلالة على نفي الفعل ولكنها مركبة من "لم" و"ما": النافية؛ فأفادت توكيد النفي، لأنها ركبت من حرفي النفي، ومن هذا كان النفي بها مشعراً بأن السامع كان يترقب حصول الفعل المنفي بها فيكون النفي بها نفياً لحصول قريب، وهو يشعر بأن حصول المنفي بها يكون بعد مدة، وهذا الاستعمال دل عليه الاستقراء[4].

ونقرأ قوله عز وجل: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا﴾الجمعة:٣. فـ(النفي بـ"لما" يقتضي بها مستمر الانتفاء إلى زمن التكلم فيشعر بأنه مترقب الثبوت كقوله تعالى في سورة "الحجرات": وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ﴾الحجرات:١٤أي (سيدخل في ...) وقد أشار إليه الزمخشري في الكشاف -كما أشرنا سابقاً- والمعنى: أن الآخرين هم في وقت نزول هذه الآية لم يدخلوا في الإسلام ولم يلتحقوا بمن أسلم من العرب وسيدخلون في أزمان أخرى.

وهذه من معجزات القرآن من صنف الأخبار بالغيبيات قد تضمنت بشارة غيبية بأن دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) ستبلغ أمماً ليسوا من العرب مثل

---

(١) المقتضب ١: ٤٦.

(٢) الكشاف ١: ٤١٢.

(٣) المصدر السابق ٤: ٣٦٧.

(٤) التحرير والتنوير ٢: ٣١٥.

"فارس" و"الأرمن" و"الأكراد" و"البربر" و"الروم" و"الترك" و"الهنود" و"المغول" و"الصين" وغيرهم)[1].

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[يونس:٣٩].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ("لما": موضوع لنفي الفعل في الماضي والدلالة على استمرار النفي إلى وقت التكلم، وذلك يقتضي أن المنفي بها متوقع الوقوع ففي النفي بها هنا دلالة على أنه سيجيء بيان ما أجمل من المعاني فيما بعد فهي بذلك وعد، وأنه سيحل بهم ما توعدهم به؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[الأعراف:٥٣]. فهي بهذا التفسير وعيد...)[2].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٨: ٢١٢.

(٢) المصدر السابق ١١: ١٧٣.

٣٧- "لن"

اتفق صاحب "التحرير والتنوير" مع رأي "الزمخشري" "لن" تدل على تأكيد النفي وتأبيده.

فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿...لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾[البقرة:٦١]. (إن "لن" تدل على استغراق النفي، وهذا معنى التأبيد.

والتعبير بـ"لن" المفيد لتأبيد النفي في اللغة العربية لأداء معنى كلامهم المحكي هنا في شدة الضجر وبلوغ الكراهية منهم حدها الذي لا طاقة عنده فإن "التأبيد" يفيد استغراق النفي في جميع أجزاء الأيد أولها وآخرها و"لن" في نفي الأفعال مثل "لا" التبرئة في نفي النكرات[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧].

جيء بـ"لن" الدال على تأكيد النفي وتأبيده لحكاية جزمهم وقطعهم بنفيه وحرف "بلى" يجاب به الكلام المنفي لإبطال نفيه، وأكثر وقوعه بعد الاستفهام عن النفي نحو قوله تعالى "ألست بربكم".

ويقع بعد غير الاستفهام أيضاً نحو قوله عز وجل: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾[التغابن:٧].

---

(١) التحرير والتنوير ١: ٥٢٢.

وأكد "الطاهر بن عاشور" تمسكه بوصف "لن"، في أكثر من موضع في تفسيره "التحرير والتنوير" ومنها حديثه في تفسير قوله عز وجل: ﴿لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾[محمد:٢٩].

فقد ذكر أن (لن: حرف لتأييد النفي، أي: أن النفي يتخطى المستقبل إلى المؤبد)[1].

---

(١) المصدر السابق ٢٦: ١٢٠.

٣٨- "لو"

"لو": عدة أنواع،

أولها: -وهو الأشهر- "لو" الشرطية:

قال سيبويه: (لو: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره)[١].

أي: أنها تقتضي فعلاً ماضياً كان سيقع لثبوت غيره، والمتوقع غير الواقع فكأنه قال: حرف يقتضي فعلاً امتنع لامتناع ما كان يثبت لثبوته.

و"لو" -عند "سيبويه"- (بمنزلة "لولا" ولا تبتدأ بعدها السماء و"لو" بمنزلة "لولا" وإن لم يجز فيها ما يجوز فيما يشبهها نقول "لو" أنه ذهب لفعلت..)[٢].

وفق وافق "المبرد" سيبويه، فذكر إنك (إن حذفت "لا" من قولك: لولا انقلب المعنى فصار الشيء في "لو" يجب لوقوع ما قبله، وذلك في قولك: لو جاءني زيد لأعطيتك، ولو كان زيد لحرمك.

فـ"لولا" في الأصل لا تقع إلا على اسم، و"لو" لا تقع إلا على فعل..)[٣].

وقد لخص ابن هشام هذه الآراء، فذكر أن "لو" المستعملة في نحو "لو جاءني لأكرمته" تفيد ثلاثة أمور: الشرطية: أعنى عقد السببية على المسببة بين الجملتين بعدها.

---

(١) الكتاب ج١: ٤٧٠.

(٢) المصدر السابق ج٤: ٢٢٤.

(٣) المقتضب ١: ٧٦.

الثاني: تفيد الشرطية بالزمن الماضي.

الثالث: الامتناع، وقد اختلف النحاة في إفادتها له وكيفية إفادتها إياه[1].

وقد اختار "الطاهر بن عاشور" هذا الرأي، القائل (إن "لو" حرف امتناع لامتناع أي: حرف شرط يدل على امتناع وقوع جوابه لأجل امتناع وقوع شرطه وشرط "لو" ملازم للزمن الماضي.

فإذا وقع بعد "لو" فعل مضارع، انصرف على الماضي غالباً[2]..

نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ﴾[النحل:٦١]. وقوله عز وجل: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾[التكاثر:٥].

قال "الطاهر بن عاشور": (فلعل الشرط مع "لو" مع أحوال كثيرة واعتبارات فقد يقع بلفظ "الماضي"، وقد يقع بلفظ المضارع، وفي كليهما قد يكون استعماله في أصل معناه، وقد يكون منزلاً منزلة غير معناه وهو هنا مستعمل في معناه من الحال بدون تنزيل ولا تأويل)[3].

ومثله قوله تعالى: ﴿...وَلَوْ يَرَى﴾[البقرة:١٦٥]. (فقد جاء "لو" في مثل هذا التركيب بشرط مضارع. ووقع في كلام الجمهور من النحاة أن "لو" للشرط في الماضي. وأن المضارع إذا وقع شرطاً لها يُصرف إلى معنى الماضي إذا أريد استحضار حالة ماضية، وأما إذا كان المضارع بعدها متعيناً للمستقبل. فأوله الجمهور بالماضي في جميع المواقع. وتكلفوا في كثير منها كما وقع لـ"صاحب المفتاح".

وذهب "المبرد" وبعض الكوفيين إلى أن "لو": حرف بمعنى "إنْ" لمجرد التعليق

---

(١) مغني اللبيب ١: ٤٢٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٤: ١٨٨.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠: ٥٢١.

لا للامتناع، وذهب "ابن مالك" في "التسهيل"، والخلاصة على أن ذلك جائز لكنه قليل، وهو يريد القلة النسبية، بالنسبة لوقوع الماضي.

وإلا فهو وارد في القرآن الكريم وفصيح العربية، ... إذ كثيراً ما يراد التعليق بـ"لو" في المستقبل[1].

وتظل "لو" الشرطية، تقتضي انتفاء مضمون جملة الشرط وانتفاء مضمون جملة الجزاء لأجل انتفاء مضمون الشرط والاستدلال بانتفاء الجزاء على تحقق انتفاء الشرط[2].

وأكد هذا الرأي في أكثر من موضع من "التحرير والتنوير"؛ ومنها قوله إن (المخالفة بين شرط "لو" وجوابها إذ جعل شرطها مضارعاً والجزاء ماضياً جرى على الاستعمال في "لو" غالباً، لأنها موضوعة للماضي فلزم أن يكون أحد جزأي جملتها ماضياً، أو كلاهما، فإذا أريد التفنن خولف بينهما[3].

أما قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾سبأ:٥١. فقد ذكر صاحب "الكشاف" -كما نقل "الطاهر بن عاشور"- أن (لو، وإذ والأفعال التي هي "فزعوا" و"أخذوا" و"حيل بينهم" كلها للمضي، والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما كان ووجد لتحققه)[4] ويزاد عليها فعل "وقالوا"[5].

النوع الثاني: "لو" الوصلية:

يعرفها صاحب "التحرير والتنوير" أنها (هي التي تفيد أن شرطها هو أقصى

---

(١) المصدر السابق ٢: ٩٣-٩٤.

(٢) المصدر نفسه ٩: ٣٠٧.

(٣) التحرير والتنوير ٩: ٣٣١.

(٤) الكشاف ٣: ٥٧٤.

(٥) التحرير والتنوير ٢٢: ٢٤٢.

الأسباب لجوابها[1]... فيكون ما بعدها أحرى بالتعجب).

ومثله في قوله تعالى: ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ...﴾[آل عمران:٩١].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (أي: لا يقبل ولو في حال فرض الافتداء به وحرف "لو" للشرط وحذف جوابه لدلالة ما قبله عليه.

ومثل هذا الاستعمال شائع في كلام العرب ولكثرته قال كثير من النحاة: إن "لو" و"إنْ" الشرطيتين في مثله مجردتان عن معنى الشرط لا يقصد بهما إلا المبالغة، ولقبولهما بـ"الوصلتين": أي أنهما لمجرد الوصل والربط في مقام التأكيد)[2].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ...﴾[النساء:١٣٥]. فـ"لو" هنا وصلية...[3]

وفي موضع آخر يقول صاحب "التحرير والتنوير": (لو: الوصلية تفيد أن شرطها أقصى الأحوال التي يحصل معها الفعل في جوابها كما في قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[يونس:٨٢].

قال "الطاهر بن عاشور": ("لو": وصلية؛ وهي تقتضي أن الحالة التي بعدها غاية فيما يظن منه تخلف حكم ما قبلها...)[4].

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:٩].

"لو": وصلية، وهي التي تدل على مجرد جوابها بشرط يفيد حالة لا يظن حصول الجواب عند حصوله[5].

---

(١) المصدر السابق ٣: ٣٠٦.
(٢) المصدر نفسه ١١: ٢٥٣.
(٣) المصدر نفسه ٥: ٢٧٥.
(٤) التحرير والتنوير ١١: ٢٥٣.
(٥) المصدر السابق ٢٨: ٩١.

أما قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾[الزخرف:٢٤]. فإن "لو" الوصلية -هنا- تقتضي المبالغة بنهاية مدلول شرطها.

وجاء "لو" الوصلية في قوله عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩].

وهي الدالة على حالة هي أجدر الأحوال بأن لا يتحقق معها مفاد الكلام السابق فينبه السامع على أنها متحقق معها مفاد الكلام السابق[١]. ومثله قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾[الأعراف:٨٨].

و"لو" وصلية تفيد أن شرطها هو أقصى الأحوال التي يحصل معها الفعل الذي في جوابها، فيكون ما بعدها أحرى بالتعجب، فالتقدير: أتعدوننا إلى ملتكم ولو كنا كارهين.

النوع الثالث: "لو" التمني:

قال الله عز وجل: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾[الحجر:٢].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ("لو": في قوله تعالى "لو كانوا مسلمين"؛ لأن أصلها؛ الشرطية، إذ هي حرف امتناع لامتناع.

فهي مناسبة لمعنى "التمني" الذي هو طلب الأمر المتنع الحصول. فإذا وقعت بعد "ما يدل على التمني" استعملت في ذلك كأنها على تقدير قول محذوف بقوله التمني، فلما حذف فعل القول عدل في حكاية المقول إلى حكايته بالمعنى. والتزم حذف جواب "لو" اكتفاء بدلالة المقام عليه، ثم ساغ حذف القول عدوها من حروف المصدرية، وإنما المصدر معنى عارض في الكلام وليس مدلولها بالوضع)[٢].

---

(١) المصدر نفسه ١٦: ٥٤.

(٢) التحرير والتنوير ١٣: ١٢.

وقال "ابن هشام": ("لو" تكون للتمني، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الشعراء:١٠٢].

أي: فليست لنا كرة، ولهذا نصب "فتكون" في جوابها كما انتصب "فأفوز" في جواب ليت في قوله عز وجل: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ [النساء:٧٣]. ولا دليل على هذا...

وذكر "ابن هشام"[1] أن "لو" (تكون حرفاً مصدرياً بمنزلة "أن" إلا أنها لا تنصب وأكثر وقوع هذه بعد "ودّ" أو "يودّ") نحو قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ [القلم:٩]. ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ [البقرة:٩٦].

وفي موضع آخر من "مغني اللبيب" نبه "ابن هشام" إلى أن أكثر النحاة لم يثبت ورود "لو" مصدرية، والذي أثبته "الفراء" و"أبو علي" و"أبو البقاء" و"ابن مالك"[2].

وإذا حاولنا استيضاح آراء "الطاهر بن عاشور"؛ في ضوء تفسيره "التحرير والتنوير" وجدنا ما يأتي:

أولاً؛ على التمني، وأن تفيد أيضاً: "المصدرية"؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (الودّ: المحبة، و"لو" للتمني وهو حكاية للفظ الذي يودون به، والمجيء فيه بلفظ الغائب مراعاة للمعنى.

ويجوز أن تكون "لو" مصدرية، والتقدير: (يود أحدهم تعمير ألف سنة) وقوله "لو يعمر ألف سنة"؛ بيان لـ"يود" أي: (يود وداً بيانه لو يعمر ألف سنة) وأصل "لو" أنه حرف شرط للماضي أو للمستقبل، فكان أصل موقعه مع فعل "يود" ونحوه أنه جملة مبنية لجملة "يودّ" على طريقة الإيجاز.

---

(١) مغني اللبيب ١: ٤٣٨.

(٢) المصدر السابق ١: ٤٣٧.

والتقدير: -في مثل هذا- يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة لما سئم أو لما كره فلما كان مضمون شرط "لو" ومضمون مفعول "يودّ" واحداً؛ استغنوا بفعل الشرط عن مفعول الفعل فحذفوا المفعول ونزل حرف الشرط مع فعله منزلة المفعول؛ فلذلك صار الحرف مع جملة الشرط في قوة المفعول فاكتسب الإسمية في المعنى، فصار فعل الشرط مؤولاً بالمصدر المأخوذ منه، ولذلك صار حرف "لو" بمنزلة "أنْ" المصدرية نظراً لكون الفعل الذي بعدها صادر مؤولاً بمصدر، فصارت جملة الشرط مستعملة في معنى المصدر استعمالاً غلب على "لو" الواقعة بعد فعل "يود" قد يلحق به ما كان في معناه من الأفعال الدالة على المحبة والرغبة. هذا تحقيق استعمال "لو" في مثل هذا الجاري على قول المحققين من النحاة، ولغلبة هذا الاستعمال وشيوع هذا الحذف ذهب بعض النحاة على أن "لو" تستعمل حرفاً مصدرياً وأثبتوا لها من مواقع ذلك موقعها بعد "يود" ونحوه... ويجعلون "لو" حرفاً لمجرد السبك بمنزلة "أنْ" المصدرية والفعل مسبوكاً بمصدر والتقدير: (يود أحدهم التعمير) وهذا القول: أضعف تحقيقاً وأسهل تقديراً[1].

ثانياً: ردّ صاحب "التحرير والتنوير" بالحجة اللغوية ما اختاره "النحاة المحققون".

ثالثاً: الشرط هو الدلالة الأصلية لـ"لو"، وقد يكون "التمني" فرعاً كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:١٠٢].

أي (تمنى أن يعادوا إلى الدنيا ليتداركوا أمرهم في الإيمان بالله وحده و"لو" هذه للتمني، وأصلها "لو" الشرطية لكنها تنوسي منها معنى الشرط.

وأصلها: لو أرجعنا على الدنيا لآمنا، لكنه إذا لم يقصد تعليق الامتناع على الامتناع تمخضت "لو" للتمني، لما بين الشيء المتنع وبين كونه متمني من

---

(١) التحرير والتنوير ١: ٦١٨.

المناسبة، والكرّة: مرّة، من الكرّ وهو الرجوع[1]. ومثله قوله عز وجل: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[القلم:٩].

قال صاحب "التحرير والتنوير"[2]: (حرف "لو" يحتمل أن يكون شرطياً ويكون فعل "تدهن" شرطاً، وأن يكون جواب الشرط محذوفاً ويكون التقدير: لو تدهن لحصل لهم ما يودون.

ويحتمل أن يكون "لو" حرفاً مصدرياً على رأي طائفة من علماء العربية أن "لو" يأتي حرفاً مصدرياً مثل "أنْ" فقد قال بذلك الفراء والفارسي والتبريزي وابن مالك فيكون التقدير: (ودوا إدهانك).

النوع الرابع: الصهيبية:

وقال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ﴾[الأنعام:١١١]. "لو" هذه هي المسماة "لو": الصهيبية[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنفال:٢٣]. فـ"الجملتان في هذه الآية كل واحدة منهما مستقلة عن الأخرى ولا تجمع بينهما إلا مناسبة المعنى والغرض".

فليس اقتران هاتين الجملتين هنا بمنزلة اقتران قولهم (لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجوداً) لو كان النهار موجوداً لدرجت الدواجن... وهذا ليس بأسلوب عربي وإنما الأسلوب العربي في إقامة الدليل بالشرطية أن يقتصر على مقدم وتال ثم يستدرك عليه بالاستنتاج بذلك نقيض المقدم...

وأعلم أن "لو" الواقعة في هذه الجملة الثانية من قبيل "لو" المشتهرة بين النحاة

---

(١) التحرير والتنوير ١٩: ١٥٥-١٥٦.

(٢) المصدر السابق ٢٩: ٦٩-٧٠.

(٣) المصدر نفسه ٨: ٦.

بـ"لو" الصهيبية بسبب وقوع التمثيل بها بينهم يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه".

وذلك أن تستعمل "لو" لقصد الدلالة على أن مضمون الجزاء مستمر الوجود في جميع الأزمنة والأحوال عند التكلم؛ فيأتي بجملة الشرط حينئذ متضمنة الحالة التي هي مظنة أن يتخلف مضمون عند حصلها الجزاء لو كان ذلك مما يحتمل التخلف.

المقصود منه انتفاء العصيان في جميع الأزمنة والأحوال حتى في حالة آمنة من غضب الله، فليس المراد أنه خاف فعصى ولكن المراد أنه لو فرض عدم خوفه لما عصى. ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[لقمان:٢٧].

فالمقصود عدم انتهاء كلمات الله حتى في حالة ما لو كتبت بماء البحر كله وجعلت لها أعواد الشجر كله أقلاماً، لا أن كلمات الله تنفد إن لم تكن الأشجار أقلاماً والأبحر مداداً[١]...

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ﴾[الأنعام:١١١].

ليس المعنى؛ لكن لم تنزل عليهم الملائكة ولا كلمهم الموتى ولا حشرنا عليهم كل شيء فآمنوا بل المعنى: أن إيمانهم منتفٍ في جميع الأحوال حتى في هذه الحالة التي شأنها أن لا ينتفي عندها الإيمان.

وهذا الاستعمال يضعف معنى الامتناع الموضوعة له "لو" وتصير "لو" في مجرد الاستلزام على طريقة مستعملة المجاز المرسل[٢].

---

(١) التحرير والتنوير ٩: ٣١٠.

(٢) المصدر السابق ٩:

ومثله قوله تعالى في سورة "الأنفال" أيضاً: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾[الأنفال:٤٢].

وقال صاحب "التحرير والتنوير": (الوجه في تفسير هذه الآية أن "لو" هذه من قبيل "لو" الصهيبية، فإن لها استعمالات ملاكها:

أن لا يقصد من "لو" ربط انتفاء مضمون جوابها بانتفاء مضمون شرطها أي: ربط حصول نقيض مضمون الجواب بحصول نقيض مضمون الشرط، بل يقصد أن مضمون الجواب حاصل لا محالة، سواء فرض حصول مضمون شرطها أو فرض انتفاؤه.

إما لأن مضمون الجواب أولى بالحصول عند انتفاء النظر عن أولوية مضمون الجواب بالحصول عند انتفاء مضمون الشرط نحو قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[الأنعام:٢٨].

ومحصل هذا أن مضمون الجزاء مستمر الحصول في جميع الأحوال في فرض المتكلم، فيأتي جملة الشرط متضمنة الحالة التي هي عند السامع مظنة أن يحصل فيها نقيض مضمون الجواب)[1].

ونجد من المفيد أن نتوقف هنا في تركيب (لو + الاسم المعرفة + ...) وقد ورد مثله في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾[الإسراء:١٠٠].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (شأن "لو" أن يليها الفعل ماضياً في الأكثر أو مضارعاً في اعتبارات، فهي مختصة بالدخول على الفعل، فإذا أوقعوا الاسم بعدها في الكلام وأخروا الفعل فإنما يفعلون ذلك لقصد بليغ.

أما لقصد التقوى والتأكيد للإشعار بأن ذكر الفعل بعد الأداة ثم ذكر فاعله ثم ذكر الفعل مرة ثانية تأكيد وتقوية.

---

(١) التحرير والتنوير ١٠: ١٨.

مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة:٦].

وإما للانتقال من التقوى إلى الاختصاص بناءً على أن ما قدم الفاعل من مكانه لقصد طريق غير مطروق.

وهذا الاعتبار هو الذي يتعين التخريج عليه في الآية ونحوها من الكلام البليغ[١]. ولإكمال الفائدة من هذا البحث نقترح التوقف عند هذين النصين الكريمين أما النص الأول فهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٧٠].

قال "الطاهر بن عاشور": (مثل هذا التركيب من بديع التراكيب وأعلاها إيجازاً ولو في مثله تسمى "وصلية" وكذلك إذا وقعت في موقع "لو"، وللعلماء في معنى: [الواو + أداة الشرط]: ثلاثة أقوال، ومنها الرأي الذي يقرب معنى (الشرط): من معنى الحال يؤمنان إلى وجه الجمع بين كون الجملة حالية وكونها شرطية وإليه حال "البيضاوي" هنا وحسنه عبد الحكيم وهو الحق... وإنما خص هذا النوع بحرفي "إنْ"، "لو" في كلام العرب لدلالتها على ندرة حصول الشرط أو امتناعه...)[٢].

أما النص الثاني، فهو قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[النساء:٦٦].

قال "الطاهر بن عاشور": (وجود "اللام" التي تقع في جواب "لو" تؤذن بأنه قوله "وإذا لهديناهم من لدنا" معطوف على جواب (لو) والتقدير: لكان خيراً وأشد تثبيتاً ولآتيناهم)[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ١٥: ٥٢٣.

(٢) المصدر السابق ٢: ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه ٤: ١١٥.

٣٩- "لولا"

قال جمهور النحاة؛ إنَّ "لولا" على خمسة أوجه:

أحدها: أن تدخل على جملتين اسمية ففعلية لربط امتناع الثاني بوجود الأولى.. وقد وضح صاحب "التحرير والتنوير" هذا التعريف النحوي فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾سبا:٣١.

لولا: حرف امتناع لوجود..

أي: حرف يدل على امتناع جوابه "انتفائه" (لأجل وجود شرطه)، فعلم أنها حرف شرط ولكنهم اختصروا العبارة ومعنى (لأجل وجود شرطه)؛ أي: حصوله في الوجود.

وهو حرف من الحروف الملازمة الدخول على الجملة الاسمية، فيلزم إيلاؤه اسماً هو المبتدأ.

وقد كثر حذف خبر ذلك المبتدأ في الكلام غالباً بحيث يبقى من شرطها اسم واحد وذلك اختصار. لأن حرف "لولا" يؤذن بتعليق حصول جوابه على وجود شرطه، فلما كان الاسم بعدها في معنى "شيء موجود" حذفوا الخبر اختصاراً. ويعلم من المقام أن التعليق في الحقيقة على حالة خاصة من الأحوال التي يكون عليها الوجود مفهومة من السياق لأنه لا يكون الوجود المجرد لشيء سبباً في وجود غيره، وإنما يؤخذ أخص أحواله الملازمة لوجوده. وهذا المعنى عبر عنه

النحويون بالوجود المطلق وهي عبارة غير متقنة ومرادهم أعلق أحوال الوجود به، وإلا فإن الوجود المطلق أي: المجرد لا يصلح أن يعلق عليه شرط)[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا﴾[الفرقان:٤٢].

قال "الطاهر بن عاشور": (لولا: -هنا- حرف امتناع لوجود أي: امتناع جوابها لأجل وجود شرطها، فتقتضي جواباً لشرطها)[2].

ومثله أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾[الفتح:٢٥]. فإن (لولا: دالة على امتناع لوجود). وما بعد "لولا" مبتدأ خبره محذوف، إذا كان تعليق امتناع جوابها على وجود شرطها وجوداً مطلقاً غير مقيد بحال.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾[البقرة:٦٤]. وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٢٥١].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (... معنى الآية: أنه "لولا" وقوع دفع بعض الناس بعضاً آخر بتكوين الله وإبداعه قوة الدفع وبواعثه في الدافع لفسدت الأرض: أي من على الأرض، واختل نظام ما عليها...)[3].

(... لذلك عقبه بقوله عز وجل: ﴿وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٢٥١]فهو استدراك مما تضمنته "لولا" من تقدير انتفاء الدفاع، لأن أصل "لولا": "لولا"؛ "لو" مع "لا" النافية أي: لو كان انتفاء الدفاع موجوداً لفسدت الأرض.

وهذا الاستدراك في هذه الآية أول دليل على تركيب "لولا" من "لو" و"لا" إذ لا

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢: ٢٠٥.

(٢) المصدر السابق ١٨: ٣٣.

(٣) التحرير والتنوير ٢: ٥٠١.

يتم الاستدراك على قوله "لفسدت الأرض" لأن فساد الأرض غير واقع بعد فرض وجود الدفاع، وإن قلنا "لولا" حرف امتناع لوجود)[1].

الوجه الثاني: للتحضيض، والعرض: تختص بالمضارع أو ما في تأويله؛ والفرق بين "التحضيض" و"العرض" هو أن الأول: طلب بحث وإزعاج، والثاني: طلب بلين وتأدب.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ الَّذِينَ﴾[الأحقاف:٢٨].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ("لولا": إذا دخل على جملة فعلية كان أصله الدلالة على (التحضيض) أي: تحضيض فاعل الفعل الذي بعد "لولا" على تحصيل ذلك الفعل فإذا كان الفاعل غير المخاطب بالكلام، كانت "لولا" دالة على التوبيخ، ونحو: إذ لا طائل في تحضيض المخاطب على فعل غيره)[2].

وقال عز وجل: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ﴾[المنافقون:١٠]. فإن ("لولا" حرف تحضيض؛ والتحضيض: الطلب الحثيث المصطر إليه ويستعمل -كما ذكرنا- للعرض أيضاً والتوبيخ والتنديم والتمني على المجاز أو الكناية.

وحق الفعل بعدها أن يكون مضارعاً، وإن جاء ماضياً هنا لتأكيد إيقاعه في دعاء الداعي حتى كأنه قد تحقق مثل قوله تعالى "أتى أمر الله" قرينة ذلك ترتيب فعلي "فأصدق" و"وأكن من الصالحين" عليه)[3].

أما قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾[يونس:٢٠].

و(لولا: -في قوله عز وجل- "لولا أنزل عليه آية": حرف تحضيض، وشأن التحضيض أن يواجه به المحضض، لأن التحضيض من الطلب، وشأن الطلب أن

---

(١) المصدر السابق ٢: ٥٠٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦: ٥٥.

(٣) المصدر السابق ٢: ٥٠٣.

يواجه به المطلوب...)[1] ونقرأ قوله عز من قائل: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [هود:١١٦].

فإن "لولا" حرف تحضيض بمعنى "هلا" وتحضيض النائب لا يقصد منه إلا تحذير غيره من أن يقع فيما وقعوا فيه والعبرة بما أصابهم)[2].

الوجه الثالث: أن تكون للتوبيخ والتنديم فتختص بالماضي، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾[يونس:٩٨].

قال "الطاهر بن عاشور": ("لولا": حرف يرد لمعان منها التوبيخ وهو هنا مستعمل في لازم التوبيخ كناية عن التغليظ لأن أهل القرى قد انقضوا، وذلك أن أصل معنى "لولا" التحضيض: وهو طلب الفعل بحث، فغذا دخلت على فعل قد فات وقوعه؛ كانت مستعملة في التغليظ والتنديم والتوبيخ على تقويته، ويكون ما بعدها في هذا الاستعمال فعل مضي، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ﴾[النور:١٦].

وإذا توجه الكلام الذي فيه "لو" إلى غير صاحب الفعل الذي دخلت عليه، كانت مستعملة في التعجيب من حال المتحدث عنه، كقوله عز وجل: ﴿لَوْلاَ جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء﴾[النور:١٣].

وهذه الآية أصرح في ذلك لوجود "كان" الدالة على المضي والانقضاء[3]. ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْجَاءهُمْ﴾[الأنعام:٤٣].

قال "الطاهر بن عاشور": ("لولا" هنا حرف توبيخ لدخولها على جملة فعلية ماضوية واحدة فليست "لولا" حرف امتناع لوجوده).

---

(١) المصدر نفسه ١١: ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه ١٢: ١٨٣.

(٣) التحرير والتنوير ١١: ٢٨٨.

الوجه الرابع: "لولا" للتمني:

نحو قوله عز وجل: ﴿لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾[محمد:٢٠].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ("لولا" حرف مستعمل هنا في التمني. وأصل معناه "التحضيض" فأطلق وأريد به التمني لأن التمني يستلزم الحرص، والحرص يدعو إلى التحضيض)[1].

وقد أجاز أن تفيد "لولا" في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ﴾[الأنعام:٤٣]: . معنى "التمني" على طريقة المجاز المرسل.

الوجه الخامس: "لولا" تفيد التعجيز:

نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[الواقعة:٨٣].

"لولا": حرف تحضيض مستعمل هنا في التعجيز. لأن المحضوض إذا لم يفعل ما خص على فعله فقد أظهر عجزه والفعل المحضوض عليه هو "ترجعونها". أي تحاولون رجوعها.

---

(١) المصدر السابق ٢٦: ١٠٧.

٤٠- "ماذا"

قال ابن هشام في فصل عقده في "لماذا" -في مغني اللبيب[1]- أنها تأتي في العربية على أوجه:

أحدها: أن تكون "ما" استفهامية و"ذا" إشارة نحو "ماذا الوقوف".

الثاني: أن تكون "ما" استفهامية و"ذا" موصولة.

وهو أرجح الوجهين في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[البقرة:٢١٩]. فيمن رفع العفو، أي: الذي ينفقونه العفو، إذ الأصل أن تجاب الاسمية والفعلية بالفعلية.

الثالث: أن يكون "ماذا" كله استفهاماً على التركيب.

وهو أرجح الوجهين في الآية في قراءة غير أبي عمر "قل العفو". -بالنصب- أي: ينفقوا العفو.

الرابع: أن يكون "ماذا" كله اسم جنس بمعنى "شيء" أو موصولاً بمعنى "الذي".

الخامس: أن تكون "ما" زائدة و"ذا" للإشارة.

السادس: أن تكون "ما" استفهاماً و"ذا" زائدة.

أجازه جماعة منهم "ابن مالك" في نحو "ماذا صنعت"؟

---

(١) مغني اللبيب ١: ٤٨٩-٤٩٢.

وقد اختار صاحب "التحرير والتنوير" الوجه الأول فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾[البقرة:٢٦].

(أصل ماذا: كلمة مركبة من "ما" الاستفهامية و"ذا" اسم الإشارة ولذلك كان أصلها أن يسأل بها عن شيء مشار إليه كقول القائل: (ماذا: مشيراً إلى شيء حاضر بمنزلة قوله: ما هذا؟ غير أن العرب توسعوا فيه فاستعملوه اسم استفهام مركباً من كلمتين).

وذلك حيث يكون المشار إليه معتبراً عنه بلفظ آخر غير الإشارة حتى تصير الإشارة إليه مع التعبير عنه بلفظ آخر لمجرد التأكيد نحو "ماذا التواني" أو حيث لا يكون للإشارة موقع نحو قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾[النساء:٣٩].

ولذلك يقول النحاة إن (ذا) ملغاة في مثل هذا التركيب. وقد يتوسعون فيها توسعاً أقوى فيجعلون "ذا" اسم موصول. وذلك حين يكون المسئول عنه معروفاً للمخاطب بشيء من أحواله فلذلك يجرون عليه جملة أو نحوها هي صلة، ويجعلون "ذا" موصولاً نحو قوله تعالى: ﴿مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾[النحل:٢٤].

وعلى هذين الاحتمالين الآخرين يصح إعرابه؛ مبتدأ، ويصح إعرابه: مفعولاً مقدماً، إذا وقع بعده فعل، فإن (ماذا: كلمة مركبة من "ما" الاستفهامية واسم الإشارة، ويقع بعدها فعل هو صلة الموصول محذوف ناب عنه اسم الإشارة، والمعنى: (ما هذا الذي أنزل).

و"ما" يستفهم بها عن بيان الجنس ونحوه وموضعها أنها خبر مقدم، وموضع اسم الإشارة، أو: الابتداء، والتقدير: (هذا الذي أنزل ربكم ما هو) وقد تسامح النحويون، فقالوا: (إن "ذا" من قولهم "ماذا" صارت اسم موصول...)[1].

---

(١) التحرير والتنوير ١٤: ١٢٤.

والاستفهام هنا -أي- في قوله تعالى: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾[المدثر:٣١]. إنكاري، أي: جعل الكلام في صورة الاستفهام كناية به عن الإنكار لأن الشيء المنكر يستفهم عن حصوله، فاستعمال الاستفهام في الإنكار لأن الشيء المنكر يستفهم عن حصوله، فاستعمال الاستفهام في الإنكار من قبيل الكناية، ومثله لا يجاب بشيء غالباً لأنه غير مقصود به الاستعلام(١).

أما قوله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[البقرة:٢١٩]. فقد ذكر صاحب "التحرير والتنوير" أن (الجمهور قرأ "قل: العفو" بنصب (العفو) على تقدير: كونه مفعولاً لفعل دل عليه "ماذا ينفقون".

وهذه القراءة مبنية على اعتبار "ذا" بعد "ما" الاستفهامية ملغاة فتكون "ما" الاستفهامية مفعولاً مقدماً لـ"ينفقون" فناسب أن يجيء مفسر "ذا" في جواب السؤال منصوباً كمفسره)(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[النساء:٣٩]. فإن (ماذا: استفهام، وهو هنا إنكاري توبيخي، و"ذا" إشارة على "ما"، والأصل أن يجيء بعد "ما" اسم موصول نحو "من ذا الذي يشفع عنده".

وكثر في كلام العرب حذفه وإبقاء صلته لكثرة الاستعمال فقال النحاة: نابت "ذا" مناب الموصول، فعدوها في الموصولات وما هي منها في قبيل ولا دبير، ولكنها مؤذنة بها في بعض المواضع "لو آمنوا" شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، وقد قدم دليل الجواب اهتماماً بالاستفهام)(٣).

---

(١) المصدر السابق ١: ٣٦٤-٣٦٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢: ٣٥٢.

(٣) المصدر السابق ٤: ٥٤.

ومثله قوله عز وجل: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ ﴾[يونس:٣٢]. فإن (ماذا: مركب من "ما" الاستفهامية، و"ذا" الذي هو اسم الاستفهام، وهو يقع بعد "ما" الاستفهامية كثيراً.

وأحسن الوجوه أنه بعد الاستفهام مزيد لمجرد التأكيد. ويعبر عن زيادته بأنه ملغي تجنباً من إلزام أن يكون الاسم مزيداً كما هنا)[1].

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾[يونس:٥٠].

فقد أكد صاحب "التحرير والتنوير" رأيه في تركيب "ماذا" فهو (كلمتان: هما "ما" الاستفهامية و"ذا" أصله إشارة مشار به إلى مأخوذ من الكلام الواقع بعده، واستعمل "ذا" مع "ما" الاستفهامية في معنى "الذي" لأنهم يراعون لفظ الذي محذوفاً.

وقد يظهر -كما قلنا- كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]وهذا الاستفهام مستعمل في الإنكار عليهم وفي التعجيب... وأعلم أن النحاة يذكرون استعمال "ماذا" بمعنى "ما الذي..."

وإنما يعنون بذلك بعض مواضع استعماله وليس استعمالاً مطرداً[2].

---

(١) المصدر نفسه: ١١: ١٥٨.

(٢) التحرير والتنوير ١١: ١٩٢.

٤١- "هل"

قال أهل اللغة: "هل": تختص بالتصديق الإيجابي، نقول: هل زيد قائم، ويمتنع: هل لم يقم.

وتخص المضارع بالاستقبال: نحو: هل تسافر؟

ولا تدخل على الشرط، ولا على "إن" ولا على جملة إسمية خبرها "فعل" نحو (هل زيد قام)[١]، لأن (أصلها: أن تكون بمعنى "قد" وإنها تقع بعد (العاطف) لا قبله، وبعد "أم")[٢].

ومن معانيها، أنها لا تستعمل للإنكار - كما تدل الهمزة على النافي للدلالة على التقدير... وهي في الحقيقة للإنكار، وإنكار النفي إثبات.

وتختص "هل" بحكمين، هما كونها للتقرير في الإثبات، كقوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ﴾[المطففين:٣٦].

أي: ألم يثوب، و(الاستفهام بـ"هل" تقديري وتعجيب من عدم إفلاتهم منه بعدد هود، والاستفهام من قبيل الطلب فهو من أنواع الخطاب؛ والخطاب بهذا الاستفهام موجه إلى غير معين بل إلى كل من يسمع ذلك النداء يوم القيامة، وهذا من مقول القول المحذوف)[٣].

---

(١) مغني اللبيب ١: ٥٦٢-٥٦٣.

(٢) شرح الرضي ٤: ٤٤٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٧: ٢٧١.

وهي أصل في الاستفهام الطالب للتصدر، نحو قوله عز وجل: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[الأنبياء:١٠٨].

وقد يراد بالاستفهام بها النفي؛ ولذلك دخلت على الخبر بعدها "إلا" في نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[الرحمن:٦٠].

قال صاحب "التحرير والتنوير": (الاستفهام مستعمل في النفي ولذلك عقب بالاستثناء فأفاد حصر مجازاة الإحسان في أنها إحسان)..

ومثله قوله عز وجل: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الأحقاف:٣٥]. فـ(الاستفهام هنا مستعمل أيضاً في النفي، ولذلك صح الاستثناء منه)[١].

كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[البقرة:١٣٠].

وقال صاحب "التحرير والتنوير" في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾[البقرة:٢١٠].

إن (حرف "هل" مفيد الاستفهام، ومفيد التحقيق ويظهر أنه موضوع للاستفهام، ومفيد التحقيق، ويظهر أنه للاستفهام عن أمر يراد تحقيقه، فلذلك قال "أئمة المعاني": إن "هل" لطلب تحصيل نسبة حكمية تحصل في علم المستفهم...)[٢].

وقال "الزمخشري" في "الكشاف":(إن أصل "هل" أنها مرادفة "قد" في الاستفهام خاصة)، يعني "قد" التي للتحقيق، وإنما اكتسبت إفادة الاستفهام من تقدير همزة الاستفهام معها كما دل عليه ظهور الهمزة معها في قوله (أهل رأونا بسفع القاع ذي الأكم)، فالمعنى: (أقد أتى؟) على التقدير والتقريب جميعاً. أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب...)[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠: ٢١٥-٢١٦.

(٢) المصدر السابق ٢: ٢٨٢.

(٣) الكشاف ٤: ٦٥٣.

وقال "الزمخشري" أيضاً في "المفصل": (وعن سيبويه أن "هل" بمعنى "قد" إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في الاستفهام)[1].

يعني أن (همزة الاستفهام التزم حذفها للاستغناء عنها بملازمة "هل" للوقوع في الاستفهام، إذ لم يقل أحد أن "هل" ترد بمعنى "قد" مجردة عن الاستفهام، فإن مواردها في كلام العرب وبالقرآن يبطل ذلك).

أما قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة:٩١]. فإن (صيغة: "هل أنت فاعل كذا" تستعمل للحث على فعل في مقام الاستبطاء نبه عليه الزمخشري في "الكشاف" عند قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:٣٩].

(استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه: استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه: "هل أنت منطلق": إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق، كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف)[2].

وفي مثل هذا السياق نفهم معنى "هل" في قوله تعالى: ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾[الأنعام:١٤٨]. فقد (جعل الاستفهام بـ"هل" لأنها تدل على طلب تحقق الإسناد المسئول عنه، لأن أصل "هل" أنها حرف بمعنى "قد" لاختصاصها بالأفعال وكثر وقوعها بعد "همزة" الاستفهام، فغلب عليها الاستفهام فكثر حذف الهمزة معها حتى تنوسيت "الهمزة" في مشهور الكلام، ولم تظهر معها إلا في النادر)[3] ويبدو أن صاحب "التحرير والتنوير" قد تابع الزمخشري في هذا الرأي، ولكنه لا يؤيد أن تكون مطردة، فقد ترد "هل" بمعنى "النفي" لذلك يقترن سياقها بـ"إلا".

---

(١) المفصل ١٠٨.

(٢) الكشاف ٣: ٣٠٢.

(٣) التحرير والتنوير ٨: ١٤٩.

وقد تأتي الحث والتحريض وطلب تحقيق الفعل، وغلب مجيئها بمعنى "قد" - كما في قوله تعالى-: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[الغاشية:١].

فإن الاستفهام بـ"هل" -هنا- المفيدة معنى "قد" وفي ذلك (مزيد تشويق فهو استفهام صوري يكنى به عن أهمية الخبر بحيث شأنه أن يكون بلغ السامع)[١]. ومثله قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾[النازعات:١٥].

قال صاحب "التحرير والتنوير": ("هل أتاك": استفهام صوري يقصد من أمثاله تشويق السامع إلى الخبر من غير قصد إلى استعلام المخاطب عن سابق علمه بذلك الخبر، فسواء في ذلك علمه من قبل أو لم يعلمه، ولذلك لا ينتظر المتكلم بهذا الاستفهام جواباً عنه من المسئول، بل يعقب الاستفهام بتفصيل ما أوهم عنه بهذا الاستفهام كناية عن أهمية الخبر...

ولذلك لا تستعمل العرب في مثله من حروف الاستفهام غير "هل"؛ لأنها تدل على طلب تحقيق المستفهم عنه، فهي في الاستفهام مثل "قد" في الإخبار. والاستفهام معها حاصل بتقدير "همزة" استفهام، فالمستفهم بها يستفهم عن تحقيق الأمر...)[٢].

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾[ص:٢١]. فـ(الاستفهام مستعمل في التعجيب أو في البحث على العلم...)[٣].

ونقرأ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾[الإنسان:١]. فإن ("هل" حرف يفيد الاستفهام ومعنى التحقيق...)[٤].

---

(١) المصدر السابق ٣٠: ٢٩٤.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠: ٧٤.

(٣) المصدر السابق ٢٣: ٢٣٠.

(٤) المصدر نفسه ٢٩: ٣٧٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - تحقيق أبي الفضل إبراهيم - ط(١) - القاهرة ١٩٦٧.

٢- الأمالي الشجرية - ابن الشجري - دار المعرفة - بيروت/لبنان.

٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - ابن هشام - تحقيق د. هادي حسن حمودي.

٤- البحر المحيط - محمد أثير الدين أبو حيان الغرناطي - مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٨هـ.

٥- البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - ط(٢) ١٩٥٧م.

٦- التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية - تونس ١٩٨٤.

٧- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد - ابن مالك - تحقيق محمد كامل بركات - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٦٨.

٨- التفسير البياني للقرآن الكريم - د. عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" - ط(١) - مصر ١٣٢٨هـ.

٩- التلخيص في علوم البلاغة - الخطيب القزويني - شرح محمد هاشم دويدري - دار الحكمة - ط(١) - بيروت/لبنان ١٩٧٠.

١٠- الجامع لأحكام القرآن - المسمى تفسير القرطبي - أبو عبد الله محمد القرطبي - تحقيق محمد إبراهيم الحفناوي - محمد حامد عثمان - دار الحديث - القاهرة ١٩٩٤.

١١- الجني الداني في حروف المعاني - الحسن بن قاسم المرادي - تحقيق د. فخري الدين قباوة - دار الكتاب - ط(١) - ١٩٩٢.

١٢- الحروف الزائدة في ضوء الدراسات القرآنية - د. طالب محمد إسماعيل - دار الحكمة - جامعة الموصل/العراق - ١٩٨٨.

١٣- الخصائص - ابن جني - تحقيق د. محمد علي النجار - المكتبة العلمية - بيروت.
١٤- دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمد رضوان الراية - د. فايز الداية - مكتبة سعد الدين - ط(٢) ١٩٨٣.
١٥- شرح الحماسة - المرزوقي-.
١٦- شرح الرضي على الكافية - نجم الدين الرضي الاستربادي - تصحيح وتعليق/يوسف حسن عمر - منشورات قاريونس/بنغازي الجماهيرية العظمى.
١٧- شرح المفصل - ابن يعيش - مكتبة المتنبي - القاهرة/مصر.
١٨- الكتاب - سيبويه - مطبعة بولاق (١٣١٦-١٣١٧هـ) (وقد أفدت - أيضاً - من النسخة المحققة لـ"عبد السلام محمد هارون")- القاهرة ١٩٦٠-١٩٧٧.
١٩- الكشاف عن حقائق "غوامض التنزيل" - أبو القاسم جار الله الزمخشري - رتبه وضبطه وصححه/محمد عبد السلام شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط(١).
٢٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - ابن هشام - تحقيق ح. الفاخوري - دار الجبل - بيروت - ط(٢) ١٩٩٧.
٢١- مفردات غريب القرآن - الحسين بن محمد "الراغب الأصفهاني" - تحقيق محمد سيد كيلاني.
٢٢- المقتضب - المبرّد - تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة ١٣٨٥-١٣٨٨هـ.

طباعة وإخراج: صفاء نهر البصار safa_nimer@hotmail.com 00962796507997